

كشاش الامام

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدماً.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

❖ الكتاب: كشاف الحمام

❖ المؤلف: وليد عزمي

❖ نوع العمل: رواية

❖ الطبعة الأولى 1443 هـ - 2022 م - القاهرة

❖ الناشر: ببليومانيا للنشر والتوزيع - مصر

❖ رقم الإيداع: 10070 / 2022

❖ التقييم الدولي (ISBN): 9789779943954

❖ الرقم الكودي في ببليومانيا: b1004128329

❖ مدير عام: جمال سليمان - ديانا حمزة

❖ العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق - مول الميريلاند - مصر الجديدة

❖ عنوان (2): 29 شارع الكمال - الأميرية - القاهرة

❖ تليفاكس: 002026337855 - 002026064518

❖ محمول: 00201208868826 - 00201030504636 - 00201210826415

❖ صفحة الدار على موقع فيسبوك: <https://www.facebook.com/bibliomania.eg/>

❖ الموقع الإلكتروني: www.bibliomaniapublishing.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببليومانيا للنشر والتوزيع

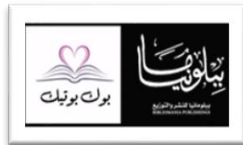
جميع الحقوق محفوظة ©



كشاش الحمائم

رواية

وليد عزمي





www.bibliomaniapublishing.com

2022

© جميع الحقوق محفوظة

إهداء

إن الفضل والمنة لله ...

إلى روح أمي ...

إلى زوجتي الغالية ...

إلى أبنائي...

شكر خاص

إلى كل من أسهموا بفكرهم وعلمهم في إثراء المعرفة الإنسانية، القدامى منهم والمعاصرون، وأخص بالذكر المفكر البروفيسور / محمد باسل الطائي، استاذ العلوم الكونية بجامعة اليرموك.

شكرا لكم.

1



الحارس

منذ سنوات يعمل شعبان أبو سنة حارس وكلاف في مزرعة لتسمين الماشية بمنطقة صحراء دهشور ما بين محافظتي الجيزة والفيوم، يقضي بها ستة أيام عمل كل أسبوع يغادر بعدها قبل فجر الجمعة لقضاء العطلة مع زوجته وأبناؤه الثلاثة بمركز سنورس.

يصل لداره مع أول ضوء للنهار ويدخل حجرة النوم الوحيدة متسللا في خفة خشية إيقاظ أحدا من أطفاله، زوجته الراقدة

كشاش الحمام

تفتح عينيها بصعوبة إذ أحست بقدومه، "أنت جيت يا شعبان؟".
يخلع ملابسه في عجلة. شعبان ليس مرهف الحس ولا ممن
يجيدون نظم الشعر أو إلقائه للتعبير عن مكنون صدره، لو كان
كذلك لأنشد لها أبيات ابن زيدون "ما ضر لو أنك لي راحم،
وعلتي أنت بها عالم * يا نائما أيقظني حبه، هب لي رقادا أيها
النائم" لكنه وجد في عبارة "وحشتيني يا بنت المحروجة" بلاغة
كافية للبوح لها بما الهب حواشيه. بعد أن ينتهي يجلس مسندا
ظهره إلى الجدار في خدر، يغلق عيناه وقد غلبه النعاس وهو في
وضع رأسي كأحجار ستونهونج.

يستيقظ عند صلاة الجمعة. شعبان يجدها فرصة جيدة للقاء
أصدقائه ومعارفه بعد الخروج من المسجد، يتبادل معهم المزاح
والنميمة حول أخبار القرية وأسرار أهلها خلال الأسبوع
المنقضي، كلما مر في الأزقة الضيقة ضربت أنفه روائح الأفران
والطعام القادمة من الشبابيك والأبواب المفتوحة، هذا كاف لأن
يهجر مجالس السمر ويهرول مسرعا بالعودة. يدخل الدار وهو
يصرخ "الأكل يا مرة".

كشاش الحمام

بعد أن يملأ معدته يبدأ في ممارسة مجموعة من الرياضات التي يحرص عليها ضمانا لصحته البدنية والنفسية، أبرزها رياضة الضرب للجميع ورياضة البصاق على الأرض أثناء التدخين ثم رياضة لعن الحظ العاثر الذي أوقعه في هذه الزيجة التعسة، غلطة عمره التي عطلت مساره المزدهر الذي كان يتجه نحو شيء ما، تمضي الساعات سريعا ليعود فجر اليوم التالي إلى مقر عمله، وهكذا تدور أيامه.

بعد أن عاد إلى المزرعة وانتصف الأسبوع كان قد أعد العدة لكل شيء في تلك الأمسية. أنهى روتين العمل اليومي وجلس يمني النفس بقضاء ليلة المزاج الموعودة التي تتكرر مرة كل شهر بصحبة هلال. الحارس الآخر وصديقه وزميله في العمل والذي ذهب منذ قليل لبيتاع (فرش مخصوص) من أحد تجار الحشيش في بلدة المرازيق.

لا سيما وأن الحاج خلف القصاص صاحب المزرعة قد حضر ظهر اليوم وناولهما الراتب الشهري في اشمئزاز محذراً من إهداره على ملذات الكيف، ولاعتناً شعبان على وجه التحديد؛ لكونه لا يتقي الله في أطفاله وزوجته والتي صارت تشكوه بكثرة لزوجة الحاج

كشاش الحمام

هذه الأيام، يقسم له شعبان بأنه مظلوم. هو يناولها الجنيهاً كما يأخذها منه حتى دون عدها، لكنها هي المرأة المخبولة تعتقد بأن "تحت القبة شيخ".

تركهما الحاج بعد أن دعا عليهما بمصير قوم عاد وكلفهما ببعض المهام الإضافية التي أنجزها في عجالته، وها هو الآن جالس ينتظر لحظات السعادة القادمة التي سوف تطرح عن ظهره ضغوط الحياة، وعن أنفه رائحة الروث وقد وضع بعضاً من الفحم فوق الموقد.

لاحظ أن البهائم كثيرة الخوار هذا المساء، والكلاب هي الأخرى لا تتوقف عن النباح، كأن قبيلةً من الجن تمرح حولها. بسمل وحوقل وتعوذ ثم شرع يتفقد أرجاء المزرعة عدة مرات حاملاً سلاحه في يده. لم يلمح ما يريب فعاد إلى كشكه الخشبي.

لاحظ كذلك أن الجو يزداد حرارة باضطراد، وهو أمر مستغرب في مثل ذلك التوقيت من العام، فالיום هو الأول من ديسمبر، وحتى ساعة الغروب كانت الرياح عاتية والبرد زمهريراً.

كشاش الحمام

تملكه الهلع أكثر إذ قف شعر رأسه وذراعيه دون سبب واضح. لو كان يعرف مصطلح "تأين الهواء" لكان ذلك أول ما تبادر إلى ذهنه. بدأ كذلك يسمع طنينًا يغمّر المكان ويتكرر ببطء كل عدة دقائق. "أعوذ بالله، هي القيامة هتقوم والا إيه". ظل على حاله هذا نصف ساعة أخرى حتى عاد زميله.

دخل عليه هلال فوجده جالسًا ممتقع الوجه يسبح في عرقه واندھش هو الآخر من حرارة الجو بالمكان. كيف ذلك وبرودة الثلج على الطريق الخارجي تقضم الأصابع؟، طلب من شعبان أن يحضر موقد الفحم ويجلسا بالخارج.

حين خرجا إلى الساحة انتبه هلال بدوره إلى الطنين الذي يصير أعلى في كل مرة وأسرع ترددًا حتى استحال صفيرا مزعجا فقال:

- إيه الصوت ده، زي إنذار الغارة في الأفلام القديمة!
- غضب من الله، يظهر دعا الحاج صادف قبول.
- أنا هجيب سلاح، شوف أنت لوحة الكهرباء. يظهر حد عاوز يلهينا ويسرق البهايم.

كشاش الحمام

هرع إلى الداخل وعاد بسلاحه وانطلق كلُّ منهما في اتجاه مخالف، مع هذه الحرارة العالية بدأت رياح تتشكل، خفيفة في البداية لكن تزداد سرعتها تدريجيا. الطنين هو الآخر يتسارع معها حتى أصبح يصم الأذان متداخلا مع أصوات الحيوانات المذعورة. ألقيا سلاحيهما ووضعاً أيديهما على آذانهما، هذا جنون. حاولا تثبيت أقدامهما بالأرض حتى لا تطيرهما الرياح. ظل شعبان مطأطئ الرأس تفاديا للفحات الجحيم.

هنا عمّ المكان ضوء أخضر مبهر غطى الموجودات من حوله، كأنه ألف مصباح أو هي شمس خضراء طلعت فجأة في كبد الليل. تخلل الضوء ومضات خطية بيضاء غير منتظمة أشبه بالصواعق. انهارت مقاومة شعبان للرياح فحملته لتصدمه بسور المزرعة الخرساني.

شعر مع الارتطام بالأم مبرحة في كل عظمة من عظام جسده. بقي ملتصقا بالسور كالسحالي بفعل قوة الدفع، بصعوبة ووهن شديدين وجه ناظريه لأعلى ليري مشهدا جحيما لم يمتلك خياله يوما القدرة على تصويره وما كان ليذره في أسوأ كوابيسه.

كشاش الحمام

كانت الأبقار والكلاب وأحواض الطعام مع أغراض أخرى من بينها أشجار تطير جميعها في الهواء في دوامة دائرية سحابية على مساحة عملاقة تتجاوز أضعاف مساحة المزرعة وكأنه إعصار مداري عملاق.

كان يري الأشجار الطائرة بلون بنفسجي مضيء، أيقن في داخله أنه يموت أو هو مات بالفعل وهكذا لون الأشياء في العالم الآخر. ولكن لماذا لا يطير هذا القط الواقف إلى جوار السور كما طار كل شيء حوله؟ "هذا جني"، هكذا حدث نفسه وسط كل ذلك.

بدأ الضوء الشديد يتخذ اللون الأبيض، وشعر هو في تلك اللحظة بجلده يحترق بالفعل مع ملبسه، انهار جهازه العصبي ولم يعد قلبه قادرا على الصمود أكثر، أغلق عينيه وحاول نطق الشهادتين، إلا أنه غاب عن الوجود أو غاب الوجود عنه وعمّ الظلام قبل أن يتمهما

2

دفعه كيف



يحكيها مدير التطوير

حدث ذلك منذ خمسة عشر عامًا. التقيتهما في أسبوعي الدراسي الأول بالسنة التمهيديّة بكلية الهندسة جامعة عين شمس، وتكونت بعدها بسرعة شلة الدحيحة Nerdies كما كان يحلو للبعض تسميتنا.

كشاش الحام

بعد انتهاء إحدى المحاضرات عن القوي الكهرومغناطيسية وخصائص الضوء، كان هو يجلس إلى يميني ومطبوع على غلاف كشكول محاضراته وبخط كبير بارز معادلة آينشتاين الشهيرة التي أسست العلاقة بين المادة والطاقة ($E=mc^2$)، قلت مازحا وأنا أشير إلى غلاف كشكوله:

- بتحب الفيزياء قوي باين عليك؟

نظر إلى كشكوله ثم رد مبتسمًا:

- بنرتاح سوا.

مددت يدي مصافحا ومعرفا إياه بنفسي:

- مينا صبري ميخائيل ابن شبرا البار وفخر إنتاج ميدان الخلفاوي.

- بدر الصواف.

قلت له ما لاحظته عنه خلال الأيام الماضية:

كشاش الحمام

- بشوفك بقالي كام يوم قاعد مركز قوي ومبتكلمش حد، قلت ده راهب علم زي حالتي ومن مصلحة البشرية أننا نتعرف على بعض.

- الشرف ليا، بس لا راهب علم ولا حاجة، كل ما في الأمر اني بحب ارتب المحاضرات كويس.

دخل الدكتور المحاضر في تلك اللحظة فالتزم الجميع مقعده، كانت المحاضرة التالية عن خصائص الإشعاع ويرتبط موضوعها بإحدى روايات الخيال العلمي التي كنت أقرأها في الليلة السابقة، فقررت بعد أن انتهت أن استطلع رأيه:

- إيه رأيك في فكرة الانتقال الآني؟ فكرك هنعيش اليوم اللي نعدي فيه بجسمنا من الحواجز؟

فكر قليلاً ثم أجاب إجابة دلت على أن الأمر بينه وبين الفيزياء يتجاوز مسألة الراحة والتفاهم المشترك إلى مرحلة وجود أولاد بينهم:

- فيه أبحاث عن نقل بعض جسيمات الذرة تحت مسمى "الانتقال الآني الكمي"، لكن أجسام مرئية كبيرة الحجم

كشاش الحمام

أعتقد لسه كثير. أتمنى حد ينجح في تطوير تكنولوجيا تعزز الخصائص الموجية للجسيمات، ساعتها يبقى ممكن. وفيه كمان نظرية اسمها التأثير النفقي Tunneling Effect بتقول إن إلكترونات الجسم إذا قلت طاقتها عن طاقة الحاجز الوضعية ممكن تخترقه، بس حسب معلوماتي ده لم يثبت مختبريا حتى الآن، وبالتأكيد صعب جدا مع الأجسام الحية، لأن غالبا الخلايا هتدمر ويتعرض الجسم للهلاك.

جاءنا صوت ثالث ذو لكنة صعيدية مميزة من على يساري:

- حتى لو عرفنا نفكك جزيئاته، لسه محتاجين نفك شفرة جينوم الخلايا ونحولها بيانات ممكن تجميعها عند نقطة الوصول، مع الأسف أعلى سرعة نقل بيانات حاليا متساعدش، علشان نفك شفرة مخ نفر واحد يلزمنا مدة 4.85 مضروبة في 10 أوس 15 سنة.

التفت أنا إلى مصدر الصوت بينما مال بدر برأسه وهو ينظر بإعجاب إلى تلك القدرة على استدعاء الأرقام بمثل هذه الدقة وهو يمد يده مصافحا إياه:

كشاش الحمام

- آمين يا بلدينا، بدر الصواف.
 - أخوكم عماد أبوشنب، من ملوي، محافظة المنيا.
- قلت مستغربا وجود مبعوثا من مصر العليا بيننا لتلقي العلم من ميدان عبده باشا:

- ياه المنيا، إنت إيه جابك هنا يا عمده؟

رد بتلقائية:

- محتاج مصاريف، قلت لأمي أعيش مع خوالي هنا، حداهم فرنة عيش في الضاهر، أشتغل وأطلع مصاريف دراستي.
- عماد شخص بدين مبعثر الهيئة، يسبب له كرشه مشكلة خاصة في الاحتفاظ بقميصه داخل بنطاله، لحميته تجعل من أنفاسه تلوثا سمعيا يجبرك على الابتعاد مسافة كافية تفاديا للصداع، إن كنت تعرف شخصية جعيدي التي جسدها المرحوم إبراهيم نصر في فيلم شمس الزناتي فأنت قريب جدا من الصورة.

لكنه كذلك على قدر كبير من صفاء النية والبراءة المحببان للنفس، آراؤه تخلو من تعقيدات الحياة، وخلافا لمظهره المبعثر

كشاش الحمام

كان عقله أنيقا جدا، مبهرا على وجه التحديد في معالجة الأرقام، كثيرا ما كان يجري عمليات حسابية شديدة التعقيد بسرعة تفوق سرعتنا في استخدام الآلة الحاسبة.

أما بدر الصواف أو "اللورد بدر" كما كنت أناديه بعدها فهو كما ترى، محاولة موفقة جدا لإعادة المرحوم جيمس دين إلى الحياة، لم يكن بعيدا عن وصف اللورد كثيرا، هو الابن الأصغر لصاحب العلامة الأبرز في سوق مطوري العقارات في مصر، بنية رياضية، صوت قوي، ملامح سينمائية، ودراجة نارية هارلي ديفدسون.

وسط كل ذلك لا يمكنك أبدا نعته بالغرور أو التعالي، لم تأت المادة على روح ابن البلد لديه. بحث الجميع فيه عن نفحة برجوازية مختبئة هنا أو هناك، تلك التي تجعل من الحياة منطقية أكثر لكن دون جدوى.

طموحه وحش لا يشبع، ولديه اهتمام خاص بتربية الحمام، نعم كما قرأتها، "تربية الحمام"، أرجوك لا تسألني عن علاقة هذه الهواية الغربية بابن الذوات فأنا نفسي لم أفهم. لمن خلقت الكلاب البيكنواه والجولدن ريتريفر اذن؟

كشاش الحمام

كان بدر يمثل حلم كل أثنى طبيعية على كوكب الأرض، كن فتيات الجامعة يتقربن إلى أنا وعماد من باب مهابة محاولة التقرب إلى هذا الهوليوودي بشكل مباشر، يكتفين بالبقاء في مجال رؤيته من خلالنا نحن صديقيه المقربين لعل المعجزة تحدث يوما.

لكنه أبدى زهدا حقيقيا في إفساح المجال لإحدهن لتحاول بجدية، يضعهن دائما في دائرة صداقة الدراسة ويحصن تلك الدائرة بإحكام، بالطبع كنا نستغل أنا والعمدة وضع كهذا في خبث ورضا تامين، لم نمانع أبدا في لعب دور " ال Parasite وتنظيف أسنان ذلك التمساح الذي يعمل كمغناطيس يجلب الحوريات وعرائس البحور جلبا إلى حوضنا الجاف المتشقق.

صداقتنا له خلت من الغيرة أو الحقد الدفين، من الصعب أن يحقدا أكل النمل وقرد الليمور على أسد الغابة، ليس ثمة ما يمكن وأن يتنافس عليه خاصة ونحن نعلم بأن قلبه هناك في العمرانية الغربية مقر معهد الكونسرفتوار حيث تدرس جارة قمره "ياسمين".

كشاش الحمام

مرت السنة الإعدادية وحلت إجازة الصيف وفي جعبة ثلاثتنا تقدير امتياز. هذا حدث لو تعلمون عظيم في تاريخ كلية تخرج منها مجاذيب بعدد يفوق المهندسين. بعد النتيجة بأسبوعين فقط تلقيت اتصالا من مكتب العميد يطلب حضوري لأمر هام.

انتابني التساؤل فتواصلت مع بدر وعماد، لأجدهما قد تلقيا ذات الدعوة مع آخرين جميعهم ممن تميزوا في مادة التقارير الفنية.

في مكتب العميد عرفنا تفاصيل أكثر. إدارة الجامعة قررت بالتنسيق مع مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار تفعيل بروتوكول تعاون مع دولة أوكرانيا يتضمن إيفاد مجموعة من متفوقي السنة الإعدادية الأولى لاستكمال دراسة البكالوريوس ومن بعده درجة الماجستير اختياريا لمن يرغب من الجامعة التقنية الوطنية في كيبف في مجالات شملت هندسة الراديو والكهرباء والاتصالات وهندسة الطاقة والميكاترونك.

لم يتردد أيّ منا في اغتنام الفرصة وخوض الامتحان التمهيدي للبرنامج، كنت أنا والعمدة في حالة استنفار واستغراق في المادة

كشاش الحمام _____

العلمية خلال الأسبوع التالي وإن أبدى اللورد بدر حماسة أقل لأسباب تتعلق بفتاته.

حاولنا إقناعه دون جدوى إلى أن جاء يوما تبدل فيه رأيه بشكل مفاجئ لسبب لا نعلمه جعله يخوض الاختبار معنا ثم حانت اللحظة السعيدة التي أعلنت فيها قائمة الترشيح النهائية متضمنة ثلاثتنا.

تحدد موعد السفر بعد شهر واحد قضيته في محاولة إقناع أمي بأن بنات أوكرانيا قد أقلعن منذ زمن عن عادة افتراس شباب العرب وأن شبيرا في سويداء القلب ومجرى الدم، وقضاه عماد في التأكيد لأخواله على أنها فرصته الذهبية للاطلاع على أحدث ما وصل إليه العلم في تطوير أفران الخبز البلدي.

أما بدر فتبادل معي خلاله مكالمتين فقط غلب على صوته فيهما نبرة أسى كنت استشف مصدرها دون محاولة النبش في التفاصيل.

في ردهة مطار القاهرة يوم سفرنا قال لي عماد في جدية:

كشاش الحمام

- طول الليل يا مينا، بحلم أننا رايعين مدرسة زي مدرسة السحرة بتاعت الواد هاري بوتر.

- فكرك هنلاقي مقشة تشيلك؟

- مليش فيه، عندي سبع غرز في كوعي من ركوبة زقزوقة عمّ نفاذي وحالف لأمي ما أتيها.

طارت بنا الطائرة يومها وبدأت رحلة لم تنته. لم نضع في حسابنا وقتها أن في العلم ما يفوق السحر إبهارا، وأن الطبيعة تكتسب معه كل يوم مترا مما كنا نظنه قابعا مستقرا وراءها مع الكثير من دهشتنا، الكثير جدا. ولذلك تفاصيل سوف أحكيها لكم.

3

دار ابن لقمان



يحكيها الملك الأسير

أنا سيف الرب، القديس ابن القديس، حفيد اوجو كاييه العظيم
الذي تجري دماؤه في عروقي، درع الصليب وحاميه، أنا لويس
التاسع ملك ملوك فرنسا.

تحل اليوم الذكرى ألف ومائتا وستون على قدوم الكلمة العليا
وقد عدت لتوي من زيارتي لكاتدرائية سان دوني وقررت أن

كشاش الحمام

امسك بورقي وريشتي لأخط بالحق لمن يأتوا من بعدي، اسرد أحداث ليس بوسع غيري أن يكتبها، تجربة لا أملك لها تفسيراً، فقط أحكيها كما عشتها والحكم لمن يقرأ. تعرفون أن الكذب ليس من شيم الملوك وأن بقي الجنون احتمال غير بعيد.

بدأ كل شيء مع الحملة المباركة التي شرفت بقيادتها وخاضها معي دفاعاً عن مشيئة السماء جوقة من نبلاء فرنسا وفرسان الداوية والاسبتارية.

كان لمعركة لافوربي وسقوط اورشليم من بعدها في ايدي الكفار تحت لواء سلطانهم المصري نجم الدين أيوب عظيم الأثر في نفوسنا، كأساً من المر شربناه وعلق بحناجرنا.

نذرت بعدها للرب نذراً، إن شفيت من مرض قد ألم بي أن أقوم حاملاً سيف الأبطال مشهراً إياه في وجه أعداء المسيح، سائراً على خطى القديس بطرس الناسك والبابا أوربان الثاني اللذان أولوا على نفسيهما مهمة استعادة الديار المقدسة.

كانت مصر خيارى الأول، فهي إن سقطت أو حيدت عبد طريق المجد ولم يعد إلى سبيل اورشليم وبلاد الشرق من مانع أو

كشاش الحمام

عائق. خرجنا من ميناء إيجومورت على ظهر ألف وثمانمائة سفينة محملة بالجنود والعتاد والخيول.

عن يميني سفينة تحمل أخي شارل انجو وعن شمالي أخرى تحمل أخي روبرت دي ارتوا، قاصدين جزيرة قبرص كمحطة أساسية، وهناك انضم إلينا فيها فرسان المعبد والاستتارية قادمين من عكا. ناهز جيش الرب عندها عدد المئة ألف جندي وتخطاه، وقبل انطلاقنا من قبرص إلى مصر أرسل الخائن فريدريك الثاني إلى نجم الدين والذي كان بدمشق وقتها رسالة يبلغه فيها بهجومنا المنتظر.

لم يكذب سلطان الكفار خبرا وعاد يستبقنا إلى مصر آمرا بالتحصينات، توجهت الحملة المقدسة من قبرص إلى دمياط كما خططنا كونها خير مدخل إلى دلتا النيل ومنه إلى العاصمة الأيوبية القاهرة.

وفي الخامس من يونيو عام ألف ومائتا وتسع وأربعون وبعد معركة قصيرة تراجع جيش الكفار والعربان فارين وفتحت لنا دمياط ذراعيها مرحبة، دخلناها لنجد خزائنها حبلى بالعتاد

كشاش الحمام

العسكري والمؤن فأعلنها عاصمة صليبية لأوتريمييه مملكة ما وراء البحار.

ثارت ثائرة نجم الدين وأعدم من العربان من أعدم ووصلتنا أنباء مرضه والذي كان من الشدة بأن جعل من زوجته شجر الدر رسولاً إلى قاداته لذا قدرنا أنها خير فرصة للتقدم نحو القاهرة، وعلى الرغم من حرب الاستنزاف التي قادها ضدنا بعضاً من مماليكه بمعاونة الأهالي المتطوعين من المصريين والتي أوقعت خسائر وسط صفوفنا إلا أن ذلك لم يثني عزيمةنا أو ينقص منها فتيلاً.

سته أشهر كاملة وصلنا بعدها إلى بحر اشموم وهو أحد أفرع النيل والذي كان يفصلنا عن جيش المسلمين القابع على ضفته الأخرى، عندها جاءنا الخبر اليقين بوفاة نجم الدين.

جاءنا في الوقت ذاته من يخبرنا بأماكن المخاض والمعابر في بحر اشموم والتي مكنت أخي روبرت دي أرتوا بمعاونة فرقة إنجليزية وأخرى من فرسان المعبد من الهجوم على جيش

كشاش الحمام

المصريين واحتلال معسكرهم في جديلة ومن ثم التقدم إلى المنصورة كنقطة انطلاق أخيرة نحو القاهرة.

فعلها أرتوا دون أمر مني ونجح ومن معه في قتل قائدهم فخر الدين يوسف، لكنه لم يدر بأن المصريين قد اعدوا فخا نجحوا من خلاله في سحق كل من عبر تقريبا وقتلوه هو.

بعدها قام واحدا من قادتهم يدعي فارس الدين أقطاي بالعبور إلى صفتنا بفرقة كبيرة الحقت بناء خسائر جمة اضطررنا معها إلى إعادة الانتشار مع إنشاء تحصينات إضافية.

في الوقت نفسه نجح المصريون في إقامة شواني نقلوها عبر نقاط بعيدة على النهر فوق ظهور الجمال خلف خطوطنا وفوجئنا بأننا محاصرون، بحر اشموم أمامنا والسدود من خلفنا.

حاول جيش الرب العودة إلى دمياط حيث المؤن والعتاد لكننا فشلنا وعند فارسكور اشتد الحصار، وصلتنا أخبار بأن توران شاه ابن نجم الدين قد عاد وهو الآن على رأس الجيش المصري.

كشاش الحمام

ليال حالكة السواد تتحول فيها السماء ليلا إلى حمم جسيمه بفعل سهام نارية حارقة كان يطلقها المصريون فتخترق تحصيناتنا وتشعل فيها وفي أجساد جنودنا النار.

أياما عصيبة بحق، كنا لا نعلم حقا من نواجه، الجيش المصري والمماليك أم هم الأهالي الذين كانوا يأتون من كل صوب وحب بأدوات قتال لم نعهدها وبأساليب هجوم مأكرة غير تقليدية تقوم على إحداث خسائر بشرية وعتاديه محدودة.

كثيرًا ما كنا نصحو لنجد جثثا لجنودنا دون رأس، كان يحلو للمصريين قطعها والعودة بها إلى جانبهم على سبيل التفاخر، تداعت الحالة المعنوية لدينا وكان من العجب المستنكر أن بصفوف الأعداء مصريون أخوة في الصليب يقاتلون جنبا إلى جنب مع المسلمين ضد الراية المقدسة.

أشدت الخناق وكان لا بد من معركة اخيرة في فارسكور لفك الحصار والعودة إلى دمياط، قاتلنا ببسالة وارتقي منا إلى جانب الرب ثلاثون الفاء، ووسط دوامات من الكر والفر وجدت نفسي

كشاش الحمام

في النهاية محاطا بمجموعة من الجنود المصريين ووقع معي قادة ونبلاء اسري في أيديهم.

لم يكن الأسر لي يعني لي شيئا، ولا أن يفت قدرا ضئيلا في عضدي، وقدرت أنه وأن لم تؤت الحملة المقدسة أهدافها كاملة إلا أن هناك دوما ما يمكن المساومة عليه وطرحه على طاولة التفاوض، لا زالت دمياط تحت سيطرة جيش الرب، والمدن الصليبية بالشام قائمة، لنر إذا ما قد تحمله الأيام القادمة.

قاموا باقتيادي إلى مكان يقال له دار ابن لقمان بمدينة المنصورة، بيت أشبه بقلعة صغيرة محصنة، كان الوقت ليلا وساحة الدار تضيئها مشاعل على الجدران، نزلت من العربة الخشبية التي تجرها الخيول مكبلا بالأصفاد حول قدمي ويدي مغلولتان خلف ظهري غير قادر على رفع رأسي للأعلى بفعل السلاسل المنتهية بطوق حول العنق.

مشيت خطوتان وانتبهت لمن يقف أمامي، رفعت رأسي للأعلى بصعوبة لأطالع وجهة، شخص عظيم البنية أسود البشرة، وجهت نظري نحو عينيه وعندها حدث امر عجيب.

كشاش الحمام

ما أن طالعتهما حتى سرت في جسدي قشعريرة واعتلت ظهري
برودة الثلج، ليس هناك مبالغة في الوصف، نظرته الثابتة الثاقبة
نفذت إلى روحي وجعلت قلبي يخفق بغير انتظام.

اعتراني عرق غزير بارد وكأن ملك الموت قد احتضني بجناحيه،
وخرج مني البول رغما عني. أنا الملك الجسور والذي خاض من
المعارك ما خاض وسالت على سيفه الدماء وتدحرجت رقاب
حتى لم يعد شيئاً يخيفه أو يرجف قلبه، لكن نظرة هذا الرجل
قد فعلت.

جاءني صوته قويا عميقا ولا أدري إن كان قد فتح فمه وحرك
شفتاه بالفعل ليتفوه بالكلمات أم أنها كانت تدوي داخل عقلي
وترج صدري رجا فالإضاءة الضعيفة والرجفة أعاقاني عن تدقيق
النظر لكنني وللعجب فهمت ما قال وانددهشت أنه يتحدث
اللاتينية:

- ما بك يا ملك الفرنسييس؟ خائف؟

- من أنت؟

كشاش الحمام

- أنا الطواشي أبو المحاسن صبيح المعظمي، نادي صبيح، أنا هنا خادمك وأنا سجانك.

- أنت ... أنت تتحدث اللاتينية؟

- وأسمعها نطقت بها أم لم تنطق، لك على قضاء حوائجك ولي عليك الطاعة، اخشع تسلم.

ثم جرتي جرا من أطراف السلاسل وأنا في حالة إعياء عاجزا عن الوقوف معتدلا بسبب وهن وارتعاشه عضلات ساقتي وحالة قلبي المتقافز، مشي بي باتجاه الباب الذي كان يناهز الأمتار الأربعة ارتفاعا وركله بقدمه.

بدلا من أن يفتح الباب الكبير كاملا انفتح بابا صغيرا أسفله كنت احسبه نقشا مستطيلا لكن تبين أنه منفذ لا يسمح بمرور شخصا دون أن يكون مطأطئ الرأس ومنحني الظهر كأنه باب مخصص لدخول الكلاب أو الحيوانات لا البشر، أشار لي نحو الفتحة ففهمت المغزى، أحنيت ظهري أكثر وطأطأت راسي ودخلت.

دخل ورائي وأوصد الباب وبدأت أول ليلة لي في دار ابن لقمان.

4



جثة دهشور

يحكيها الضابط

سعادة حقيقية تغمرك حين يتم تكليفك بمأمورية تقود فيها سيارة من مدينة نصر إلى البدرشين عقب اثنتي عشر ساعة عمل، قضيتها بين تحقيقات ومكالمات واجتماعات يحمل جميعها صفتي هام وعاجل.

كشاش الحمام

تتحصن خلالها وراء تل صغير من أعقاب السجائر وخمس عشرة فجانا من القهوة وشطيرتا فلافل أم شاورما لا تتذكر حقا، هي أشياء تمضغ مع المخلات والكثير من الطحينة بهدف إخراج مستوي الحمض في معدتك عن السيطرة.

لا ينقذني من ذلك "العك" إلا عطلتي الأسبوعية التي أزور فيها أُمي بالإسكندرية لتطهير المعدة بالصواني المغطاة والصحن المحلاة، وتطهير الروح برؤية ابنتي سارة التي تعيش معها بعد وفاة المرحومة زوجتي.

لماذا إذن لا اتخذ المخرج القادم باتجاه الصحراوي واذهب لرؤية الحبيبتين؟ أه، هناك تكليف هام وعاجل.

وصلت إلى مخرج الدائري باتجاه طريق بني سويف - الجيزة. كان الظلام قد أطبق قبضته على الوجود وصارت القيادة عبر الطرق الداخلية غير المعبدة تعتمد على خلطة من التخمين والحظ السعيد وقلب المؤمن أكثر من اعتمادها على كشافات السيارة العهدة المصابة بالحياء.

كشاش الحمام

ساعة كاملة لمحت بعدها أخيرا اليافطة الزرقاء باهتة الإضاءة مكتوب عليها "مركز شرطة البدرشين". ركنت السيارة وترجلت.

عند البوابة لمحني عسكري نحيف أدرك بخبرة يحسد عليها طبيعة عملي الميري رغم ارتدائي زيا مدنيا فانتفض ملقيا التحية العسكرية، سألته في عجلة:

- مكتب الرائد حسن؟

- آخر اوضه يمين الطرقة يا أفندم.

لم أضطر للبحث إذ لمحت من هو قادم باتجاهي. شاب أسمر طويل ذو بنية رياضية على وجهه شنب صعيدي فاخر يحتل ثلثه دون مبالغة. مديده لمصافحتي بابتسامة واسعة أظهرت فالقا هائلا بين سنيه الأماميين لا يمكنك أبدا أن تقاوم النظر إليه:

- الرائد / حسن زغلول معاون مباحث البدرشين.

- مقدم / أحمد سيف الله، الأمن الوطني.

- شرفت يا أحمد بيه، منتظرك من الصبح، أتفضل.

كشاش الحمام

دلفنا إلى مكتبه وكان أول ما سألته عنه هو سبب طلبه إشراك الأمن الوطني في تحقيق جار لديهم فتكليفني قد جاء عاجلا ولم يسعفني الوقت للحصول على تفاصيل من القيادة.

طلب لنا القهوة أولا ثم ناولني سيجارة وأشعل مثلها، بعدها فتح أحد أدراج مكتبه وسحب دوسيه بلاستيك يحوي مجموعة من الأوراق وبدأ يشرح لي.

قال أنه منذ يومين ورد إليهم بلاغ في الساعة الثانية صباحا بالعثور على جثة لشخص متوفي بحديقة مصنع اسمه "مدار لمعدات الاتصالات" يقع بصحراء دهشور ضمن زمام المركز. وبعد الحصول على التصاريح اللازمة تمت المعاينة فاكشف أنه يعرف صاحب الجثة واسمه المهندس عماد أبو شنب.

المهندس المتوفي كان يطلب منهم في بعض الأحيان تأمين عمليات نقل لمعدات تصلهم من الخارج إلى المصنع فقد كان يعمل مديرا للإنتاج هناك، في حين أن مجلس الإدارة يرأسه مهندسا آخر يدعي بدر الصواف.

كشاش الحمام

المصنع والمنشأة هما ملكية مشتركة ما بين الجيش وشركة بدر الصواف، وقد خصصوا له الأرض للبناء وبدء نشاطه منذ سنوات.

قال إن المعاينة الأولية للجثة أظهرت أن بالوفاة شواهد تدل على حدوثها بشكل غير طبيعي. الوجه كان غارزا بالأرض وكأن شيئاً قام بالضغط عليه، مع أن الأرض كانت جافة جداً والطين صلب. هم استبعدوا كذلك فرضية أن تكون الجثة قد سقطت من ارتفاع، إذ أن المبنى الإداري يبعد عن موقعها أربعون متراً على الأقل كما أن تقرير الطب الشرعي يفيد بأن كافة العظام كانت سليمة لا شروخ بها.

عندما غيروا من وضعية الجثة في حضور النيابة خرج من الأذن خيطاً من الدماء وخرج معه سائل أسود قاتم ولزج أشبه بالقار الذي يستخدم في تعبيد ورصف الطرق. بعدها قامت النيابة بإرسال الجثة إلى المعمل الجنائي واستعجلت التقرير والذي وصل صباح اليوم وقد ترك لي نسخة منه بالملف الموضوع أمامه على المكتب.

كشاش الحمام

ناولني إياه فسألته وأنا أفتحه عن ملخص محتواه لحين قراءته بالتفصيل، أجابني بأن أغلب قضايا النفس في هذه المنطقة عادة ما تكون إما قتل بسطو مسلح، أو لغرض الثأر، أو قد تسبقها حالة اغتصاب، وكثيرًا ما كانوا يتوقعون فحواها قبل أن ترد.

إلا أن هذا التقرير قد فاجئهم بما لم يتوقعوه. وقت الوفاة تحدد فيه ما بين منتصف الليل والواحدة صباحًا، أيّ قبل البلاغ بساعة تقريبًا. وسبب الوفاة هو توقف عضلة القلب نتيجة صدمة عصبية شديدة أدت لارتفاع حاد ومفاجئ في ضغط الدم لدرجة أن الشريان الأورطي قد انفجر.

كنت أتطلع لصور صاحب الجثة وأنا استمع اليه، شاب في الثلاثينات على شيء من البدانة يرتدى بول أوفر بدون أكمام وربطة عنق فوق قميص ذو ألوان غير متناسقة بالمرّة، وجهه طفولي إلى حد ما.

قلت للرائد حسن وقد بدأ ضغط دمي أنا في الارتفاع والأورطي عندي على وشك الانفجار بدوره لشدة الملل والحسرة على ساعتين قد ضاعا من وقت نومي في هذا الهراء:

كشاش الحمام

- وإيه الغريب في كده يا حسن باشا؟، ما هو من حق الناس تموت بالضغط والأزمات القلبية، حتى لو شباب يعني.

تنحج مرتان ثم قال:

- المرحوم مكانش عنده مخ.

استغربت تعبيره الركيك فرفعت رأسي نحوه وقلت مستوضحا مقصده:

- عفوا مفهمتتش، تقصد يعني أن التقرير أظهر دليل على أنه أتصرف تصرف غبي أدى لوفاته؟

- لا يا أحمد بيه، الجمجمة كانت فاضيه.

بقيت صامتا متطلعا إليه ليشرح أكثر، من المفترض أن هذه جمجمة إنسان لا حبة جوز، لكنه أكمل:

- الجمجمة كانت بدون مخ المتوفي. والجثة كاملة متكاملة لا ينقصها أيّ طرف أو عضو باستثناء المخ.

كشاش الحمام

هذا مثير للاهتمام، ويجعل للمشوار منفعة محتملة. سألته إن كان يقصد سرقة أعضاء، فالمخ على حد علمي ليس عضواً يمكن نقله من شخص لآخر فأجاب بأن التقرير يؤكد أن الجثة "صاغ سليم"، لم يمسه مشروط واحد، لا قطع، لا خدش، لا بالجمجمة ولا الجلد أو أيّ مكان آخر.

أما الأغرب فكان تجويف الجمجمة حسبما أوضح التقرير. أغشية السحايا لم يكن موجوداً منها سوى الطبقة الخارجية التي تسمى الأم الجافية وقد كانت مشبعة بالكامل بالمادة السوداء الغريبة.

أما طبقتي الأم العنكبوتية والأم الحنون فقد اختفيتا من التجويف تماماً وأن توأجتا حول النخاع الشوكي من منتصف الرقبة لأسفل، وكأنها معالجة بيد جراح محترف أو هي عملية بذل متقنة تمت لمخ المتوفي.

الأعصاب الشوكية كانت كاملة، وباقي الجثة بشكل عام سليمة حتى الكدمات المتوقعة بسبب غرس الوجه في التربة بالقوة لا أثر لها، وكأنه انغرس ببطء وبثبات.

كشاش الحمام

تساءلت عن طبيعة المادة السوداء وعما إذا كانوا قد قاموا بتحليلها فأجاب بأنهم رفعوا عينتين، أرسلت إحدهما لمعمل متخصص بمصر الجديدة والأخرى إلى معمل آخر بفرنسا ولا يعلم سبب ذلك لكن أيا من النتيجتين لم يصل بعد.

عدت أطلع الصور مرة أخرى بتركيز أكبر، خاصة ما التقط منها على طاولة التشريح تحت الإضاءة، لا كدمات أو سحجات ولا خدوش بالوجه كمن توفي فعلا في سريره، فقط كانت هناك درجة الشحوب والزرقة المتوقعين، قلت محدثا نفسي "أنت إبه حكايتك بالظبط يا عمّ عماد!".

استطرد الرائد حسن بصوت يحمل نبرة توسل:

- أنا في أزمة، النيابة علقت التحقيق لحين ورود تقارير فحص العينات وطالبتنا بتحريات ومعلومات اكثر، وأنا متكتف لأن التعليمات عندي تمنعني من تفتيش المباني الخاصة بالمصنع ده تحديدا وبالموقع كله أو حتى طلب التحفظ على DVR الكاميرات من غير تصريح خاص من جهاز حماية المنشآت، في الحقيقة يا أحمد بيه أنت هتنقذني لو نسقت مع

كشاش الحمام

النيابة لنقل الملف بالكامل تحت إدارتكم علشان التحريات تمشي بالشكل المظبوط.

نهضت وأنا احمل الملف، كان إجهاد اليوم قد تملك مني وقدرتي على تلقي وتحليل المعلومات قد أوشكت على النفاذ، قلت له:

- مفهوم مفهوم، خليني أراجع الورق النهاردة وتتقابل الصبح، أنقذني أنت بقى وقولي فين غرفة المبيت أنا خلصان ومش حمل سواقة تاني.

- كنت عامل حسابي، جاهزة معاليك. يا عسكري ماهر، وصل أحمد بيه لغرفة المبيت وأكد على العشا.

ثم ابتسم في ود كاشفا عن فalc أسنانه الذي غالبا ما يستخدمه في تنويم المتهمين مغناطيسيا وقال:

- عندنا هنا مطعم شاورما جديد بيعمل سندوتشات إنما إيه، تستاهل بقك.

كشاش الحمام

كدت أشكره على الوجبة التي افتقدتها بحق لكن يبدو وأتته تذكر شيئا فجأة. قال وهو يهرش في رأسه أن هناك أمر آخر لا يعلم ما إذا كان له علاقة بذات الموضوع أم لا.

فقد وردتهم خمس بلاغات أخرى من أهالي المنطقة انهم شاهدوا في السماء يومها أضواء غريبة وسحب هناك من قال أن لونها أخضر ومن قال أبيض، جميعها ظهر واختفي بالجهة الغربية، وحيث أن البلاغات كانت على قدر من الغرابة ولم يقم أحدهم حتى بتصوير ما شاهده بجهازه المحمول، فإنهم لم يأخذوا الأمر على محمل الجد، وقاموا بحفظ تلك البلاغات. قلت له:

- طيب ما الموضوع واضح أهوه، الجثة وقعت من طبق طائر، والكائنات الفضائية سرقت مخ المتوفي.

نظري غير مستوعب ما إذا كنت أسخر منه أم أقدم تفسيراً جدياً للأمر. طلبت منه الاطلاع على تلك البلاغات أيضاً فهز رأسه بالإيجاب.

عند باب الغرفة تذكرت شيئاً فالتفت وسألته:

كشاش الامام _____

- حسن باشا، أيام التجنيد كانوا يقولوا حاجة كده على معسكر دهشور هنا، فاكرها؟
- أه، "دهشور، لا ميه ولا نور".

5

الحقيقة وأخواتها



يحكيها المهندس

كنا جالسين بأحد المطاعم العائمة على ضفتي النيل وقد غربت الشمس ومد الليل استاره، أضواء الجسر المعلق الجديد تنعكس على صفحته مع لسعة البرد المميزة لبدايات ديسمبر. شعور بالخدر وهواء عذب مشبع برائحة النهر يدخل صدري.

كشاش الحمام

صوت أم كلثوم ينبعث من مكان ما مضيئا بعدا آخر لهذا المشهد الخرافي "كنت بشتاقلك وأنا وأنت هنا * بيني وبينك خطوتين". لو أنهم طرحوا بالصيدليات عقارا ينقل للناس طعم المدن وإحساسها، فهذه جرعة "كايروكسين" تركيز واحد مللي جرام في الوريد.

سمه خيال مدمنين أو هذيان دراويش، نعم، أنا درويش هذه العظمة، ابن منيل الروضة، الذي كان جمال هذا النهر أول مشهد تلقاه عيناى وقت أن تعلمت كيف أشب للنظر خارج إطار النافذة.

كان يغمري شعور عام بالرضا عن المكان واللحظة، وقد كنت في حاجة ماسة إليه. حتى صوت القرقرة الصادر عن رفيقي الجالس إلى جانبي بدا محببا للنفس، التفت إليه وسألته كيف لدكتور جامعي وطبيب مرموق أن يدخن الشيشة؟ وما موقفه إن رآه واحدا من طلبته؟

نفث الدخان باتجاهي عامدا وهو يقول:

كشاش الحمام

- بس يا جاحد، بدل ما تشكرني أني خلصتك من كاريمان أختك وجبتك هنا.

- شوف مين بيتكلم، ولا كأنك جايني هنا يا دكتور علشان تطلب مني أنت كمان اقعد مع هشام وتصلح.

قال وهو يميل برأسه وينظر لي من فوق عدسات نظارته الطبية:

- يا واد أنتم في الأول وفي الآخر أخوات، اختلفتم أو اتفقتم، هتفضل دي حقيقة في حياتكم.

يمثل لي الدكتور عبد الله محرم علاقة متعددة الاستخدام، بالأساس هو زوج الأخت الذي يكبرني عشرون عامًا، لكني أجد فيه خليطًا بين الصديق والعم أو الخال والأخ الأكبر، شخص قادر على إذابة حاجز السن ببساطة وكاتم أسرار من الطراز الرفيع.

تخلو أحاديثنا من القيود ومن المجاملات، وأضمن معه دوما رأيًا مخلصًا موضوعيًا حتى وأن اختلفنا، هي مهارات على الأرجح قد اكتسبها من طبيعة عمله كطبيب نفس أثرت عقله القراءات وتجارب الآخرين الحياتية.

كشاش الحمام

قلت له أن الخلاف بيني وبين أخي هشام بسيط، أنا فقط أتجنب الحوار معه عندما تكون كل حججه في الإقناع قائمة على كونه الأخ الأكبر، وقتها لا أقتنع. اقترح على أن يقوم بدعوة الجميع على الغداء عنده وطلب مني الحضور أنا وياسمين زوجتي فلم أمانع.

أشعره ذلك بالراحة في إتمام مهمة كنت على يقين من أنه مكلف بها من قبل أختي كاريمان.

مرت دقائق من الصمت خلت إلا من صوت القرقرة كنت فيها أنظر باتجاه صفحة المياه في شرود فسألني:

- سرحان في إيه؟

- أصلك بتقول هتفضل حقيقة.

- مالها الحقيقة يا سيدي، مزعلاك في إيه؟

بماذا أجيبه؟، أنا الذي لم يشقه يوما إلا عطشه لها، واحدا من سعداء (أو قل تعساء) الحظ الذين اقتربوا أكثر. أعطيت لي العدسة المكبرة لأضعها على الأشياء وأنظر من جديد، منحة أم محنة؟ لا أدري. جبل على الأكتاف؟، هذا مؤكد.

كشاش الحمام

كنت مقبلا على لحظة فارقة في حياتي العملية بعد أسابيع قليلة، لحظة تحقيق الذات التي ينتظرها كل منا ويحيا ويموت الكثيرون دون أن يحظوا بها، كلما اقتربت يوما ازدادت على عقلي الضغوط واختلطت داخلي المشاعر.

نعم قد ينتابني الإحباط حال الفشل، لكن النجاح أمره مخيف أكثر، قد يفتح أبوابا وي طرح تساؤلات لست واثقا من قدرتي على الإجابة عليها في حياتي القصيرة هذه.

مفارقة غريبة أن نفني أعمارنا راكضين وراء المعرفة لنشقى بها في النهاية. ذباب يبحث عن السعادة في نور الصاعق الكهربائي الخلاب. بقدر ما نقترب نحترق، وبقدر ما نعرف نصمت ونشيخ. لا أستطيع أن أجيبك يا دكتور، ولكنني أستطيع أن أسألك.

- يعني إيه الحقيقة؟

ضحك كثيرًا حتى انقطعت أنفاسه ثم قال وسط السعال:

- لأ لأ، اهدي يا بدوره كده وصل ع النبي، بلاش العمق ده أبوس إيديك، إحنا جايين نروق يا حبيبي.

كشاش الحمام

- لا بجد، هي مش المفروض كلمة وليها تعريف؟
والمفروض كمان أنك أشهر طبيب نفسي في البلد، ممكن اسأل مين أحسن منك؟
- اسأل أختك. اللي هتخليني أنا أدور على دكتور نفساني. ومتقلقش هي عندها إجابة لكل حاجة.
- لا أنا عاوز اسمع منك، أنت عارف اني برتاح لما بتكلم معاك، متلخبطة في دماغي حاجات كتير اليومين دول، عاوز أشارك حد بثق فيه الكلام، أسأله عن اللي يبجي في بالي ويجاوبني.
- وجدني مصرا فعقد حاجبيه في تركيز وزام كقط بري تلمظ بعدها ملعقة من السحلب وسحب نفسين على سبيل استدعاء المحتوى العلمي اللائق ثم قال:
- والله التعريف الحاضر في ذهني أنها الثابت يقينا، يعني ما استقر عليه الإدراك إما حسيا زي إدراكنا للشمس والنار أو منطقيا زي إدراكنا لوجود الخالق، ولأنها شيء مرتبط بالإدراك

كشاش الحمام

والوعي، فالتأثير عليهم بالضرورة يبخلي الحقيقة نفسها عرضة للتزييف.

- الميديا؟

- عوامل أشمل وأعم من الميديا، عندك السلطة مثلا، زي ما هتلر قال "المنتصر لن يسأل أبدا عما إذا كان يقول الحقيقة".

- تقصد سلطة الحكم؟

- مش بس سلطة الحكم، فيه عالم اجتماع مشهور اسمه رايفن قال إن للسلطة أشكال كتير زي القانون والكهنوت وزي الإقناع بالقدرة على إنزال العقاب أو الإقناع بالقدرة على المنح، حتى لو مكنتش حاكم أو سلطان، ياما رجال دين ورجال أعمال زيفوا الحقيقة من موقع سلطتهم، يمر الوقت وتتحول أكاذيبهم دي لثوابت.

كلام جميل، لكنني في حاجة إلى الاقتراب أكثر مما يشغل رأسي، لذا سألته:

كشاش الحمام

- تفتكر العلم بيقدم الحقيقة الأصدق يا دكتور؟ حسب كلامك المفروض إن الحقيقة العلمية هي الأكثر تحررا من تأثير السلطة.

- مش ده معنى كلامي، لما بقولك إن رجل دين ممكن يزيّف الحقيقة أنا أقصد أنّه ممكن "يتألي" على الله، أو يفسر إرادته بشكل يخدم أهدافه، لكن فكرة إن العلم وحده بيقدم الحقيقة الأصدق دي يمكن أزمة الملحدين، حابين يحطوا العلم والدين في صراع كأنهم بيقدّموا للبشرية نقيضين، بيطبّقوا أدوات العلم، التجربة والقياس والملاحظة على قضايا غيبية وده تطبيق في غير محله. الحقائق العلمية إدراكها أقوي بسبب ارتباطها الوثيق بالظواهر الحسية، ده بسبب إن العلوم مبنية في تفسيرها على الرياضيات، والرياضيات مبنية على المنطق الحسي. التبادلية اللي في عملية الضرب أمر مفهوم ومنطقي تماما، وناتج قسمة أيّ عدد على صفر هو قيمة غير معرفة لأنها عملية غير منطقية.

رآني ابتسم فشك أنني أجد في كلامه عوارا، نظر لي شذرا من فوق نظارته وقال وهو يهز رأسه يمينا ويسارا:

كشاش الحمام

- آه يا عيلة الصواف، لا يعجبكم العجب ولا الرياضيات ولا المنطق، أنت اللي طلبت رأيي بالمناسبة يا واد إنت.

قلت مصححا لظنه وأنا أضحك:

- حلمك بس، أنا متفق معاك تماما على فكرة، بس الكلام فكري باللي قالوه علماء كبار في الفيزياء في بداية القرن العشرين، قالوا إننا تقريبا قفلنا العلم ووضعنا كل القوانين الممكنة والمتبقي مجرد تدقيق أرقام. تفاجئوا بعد كده بظواهر طبيعية الرياضيات مش هتقدر تفسرها بنفس المنطق السلس. وأنهم لما وصلوا لقاع طبقة المنطق الحسي وخدشوها اصطدموا في المعمل بغيبيات واحتمال.

- مش مستغرب طبعا من ده، إنما إزاي قولى؟

- ظواهر مثلا بتحصل على المستوى دون الذري، لقوا إننا منقدرش نستخدم في تفسيرها عمليات الضرب التبادلي البسيط، والحل الوحيد إننا نلجأ لحاجة اسمها ضرب المصفوفات بمعنى إنك ما تقدرش تعكس فيها المدخلات وتحصل على نفس النتيجة.

كشاش الحمام

- ضرب إيه يا أخويا؟ طب وليه الرياضيات تتفذلك الفذلكة دي؟

اعتدلت في جلستي وأسندت ظهري إلى الكرسي وصمت قليلاً، من الصعب الإجابة على سؤاله إجابة شافية مرضية دون الخوض في تفاصيل قد تؤدي به إلى قطع علاقة المصاهرة معي تماماً لذا اختصرت الرد:

- موضوع طويل بس ببساطه وباختصار له علاقة بحساب كل الإحتمالات الممكنة لحالة الوجود المادي.

ضحك وهو يهز رأسه يمينا ويسارا وقال:

- لا ده أنت بسطها قوي، طب وليه ندوخ نفسنا، خللي الحواس والضرورات العقلية يعرفونا إيه الموجود وإيه حالته وخللي الملحدين يطقوا.

- هي مش قضية إيمان وإلحاد، الفضول طبيعة بشرية عند المؤمن وغير المؤمن، تعرف، تجارب كتير على أدق أجزاء المادة توثقت بالنتائج، بتقول إن الموجود حوالينا هو موجود بحالته عشان أدركناه ورصدناه، وأن كل حالاته هي احتمالات

كشاش الحمام

قائمة بس عقلنا هو اللي بيختار منها ويستخدم الحواس في أنه ينقل الكون ده من حالة فائقة للطاقة لحالة مادية متجسدة ليها احتمال واحد.

صمت قليلاً محاولاً هضم كلماتي واستخلاص المضمون، يبدو أنني أفسدت عليه روقان اللحظة تماماً، ولولا نبل أخلاقه لأطعمني قطع الفحم الملهب جراء أسئلتني وهذا الحوار الحلزوني المعقد لكنه قال وهو يعدل من وضعية الفحم:

- شوف يا بدر، أنا قرئت قبل كده في مفهوم الحتمية عند الفلكي الفرنسي لابلاس، وأزاي إن الكون بيتصرف وفقاً لقواعد ثابتة لا تتغير، إذا حددناها وعرفناها ممكن نفسر الماضي والحاضر وتوقع المستقبل كمان بدقة تامة، طبعا كلامك مناقض للمعني ده، وأنا معاك في كده لأني ببساطة مؤمن بأنه مهما بلغت دقتنا في الحساب تبقى اليد العليا للخالق قادرة على تغيير ما نتظره ونتوقعه.

القادم غيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وإحنا بسبب محدودية قدراتنا بنميل للتبسيط والتقريب عشان نستمر

كشاش الحمام

ونعيش، يهمننا نحس بالقدرة على التحكم في محيطنا والتعامل معاه، أنت بتاع هندسة وفيزياء وأينشتاين قال: " أحب أن أعتقد أن القمر موجود حتى عندما لا أنظر إليه " ، أنا كمان زييه، أحب أبقى عارف أن بيتي زي ما هو في المعادي، وأن حسابي في البنك فيه المبلغ الفلاني، ويوم اختك ما تخنقني أروح إسكندرية وأنا واثق أن البحر هناك لونه أزرق، أحب أفضل على يقين من وجود أشياء في حياتي بحالتها زي ما أنا مدرك ومتأكد من أي شايك قاعد جنبي دلوقت.

- أيوة بس أنا مش قاعد جنبك دلوقت.

التفت نحوي وعلى وجهه إبتسامة سخرية وهم أن يقول شيئاً قبل أن تتسع عيناه ويسقط فكه لأسفل ثم يقفز من مكانه مطيحاً بالشيشة وبعض الأكواب وهو يتمتم بصوت مبحوح:

- كا.. كا.. كاريمان!

6

متغير على



تحكيها السوبرانو

" العزيزة جاسمين:

استعيد ذكري أيامنا التي قضيناها في بروفات وتحضيرات "إل
كامبانيللا" في تورينو، تتذكرين يوم العرض الأول حين وصلتني
صباحا فاتورة الخدمات بمبلغ خرافي أصابني بالجنون وخشيت

كشاش الحمام

أن أصدع على المسرح وأصرخ في وجه رئيس البلدية الجالس
بالصف الأمامي بدلا من أن أؤدي دور "سيرافينا".

تذكرين ما فعلناه؟ جلسنا في حجرة الملابس نغني له اللعنات
على ذات اللحن ناسين الستار الذي كان على وشك أن يفتح، آه
لكم كنا مجانين، لكم ضحكنا يومها.

أرسل هذا لأزف لك البشري جيسي، التحضير يجري حاليا
لعرض "الريجوليتو" في فبراير، لقد تم ترشيحك من "تيا ترو ديل
أوبرا دي روما" لأداء دور "جيلدا" على أن تبدأ البروفات في يناير.

توقعي خطاب ترشيح اللجنة الدائمة الرسمي خلال يوم أو اثنان
على أقصى تقدير، لكم أنا متشوقة لضحكة جاسمين الصافية
ووجهها الملائكي، أتمنى أن نستعيد بعضًا من أيامنا هنا في روما
أنا وأنتِ وأورسولا.

ترسل لك أمني تحياتها بدورها، أوصيك بأن تتحضري من الآن
عزيزتي، هيا أطلقني ألحان فيردي في منزلك طيلة هذا الشهر، هيا
عيشي الأجواء.

سلامي لك ولعصفورك المحبوب بدر.

المخلصة دوما، إلينا "

كان هذا محتوى البريد الإلكتروني الذي طالعتة صباحا، إلينا صديقتي هي عرض مستمر للسعادة، وسرها في ذلك أنها مهما كبرت تبقي ابنة العاشرة في انفعالاتها وأفكارها وصدق مشاعرها، هي أيضا ماهرة جدا في نقل تلك العدوي للمحيطين، لكم أطوق لمثل هذه الروح الآن.

اليوم يصادف عيد زواجنا الثامن أنا وبدر، جهزت هدية، رولكس أنيقة في صندوق مزخرف بفيونكه، ووضعت جوارها على الطاولة ذلك المظروف الصغير ليطالع محتواه عند عودته وأنا أتساءل كيف ستكون ردة فعله تجاهه.

أنا مرعوبة، لم أعد قادرة على قراءة ما يدور بداخلك، أنت يا حب عمري ومحور عالمي، لم يعد لكلماتي نفس وقعها السابق عليك، حرصك على زيادة المسافة بيننا في كل لحظة هو ذاته مقدار حرصي على اختصارها.

حتى في لحظتنا الحميمية أفتقر لاحتوائك لي وانصهار المشاعر بيننا في مثل هكذا لحظات، أسأل نفسي عن هذا الروبوت الخالي

كشاش الحمام

من الروح وأرفض أن يكون إجراء بروتوكولي خاصة وأّنه صار مؤلما يحوي قدرا من العنف مصدره الغضب أكثر منها الرغبة.

أنا عاجزة عن التصريح لك بذلك خوفا من تعميق جرحك أو تأويل موقفني على نحو خاطئ. ينازعني الحنين لبدر وياسمين طفلا الثامنة يلعبان سويا في حوش بيت المنيل، يحكي كل منهما للآخر كيف يرى العالم وكيف يحلم بالمستقبل، لماذا كبرنا؟

حياتنا الآن سلسلة محاولات احتواء من طرف واحد بينما الطرف الآخر غاضبا على طول الخط، أسد جريح في كرامته يبحث عن انتقام ما يرضي كبرياؤه، لماذا يا حبيبي اخترت أن تنهار أمام الاختبار الإلهي؟ ألم نتعاهد سويا على تقبل الحكمة منه؟

أنا التي اعتدت عليك شمسا تمنح القوة والدفء أحسك الآن جبلا من الجليد يشعروني بالبرد كلما اقتربت منه، كتلة من الرفض والاستنكار لقد لم يحدده أو يختره أيّ منا. متى ينتهي ذلك؟

كشاش الحمام

مر يومي بطيئا وأنا غارقة في أفكارى السوداء إلى أن قررت في المساء العمل بنصيحة إيلنا، ارتديت فستانا ذو صدر مفتوح نوعا لإبراز القلادة الذهبية المفضلة لدى، تلك التي أهداها لي بدر في عيد زواجنا الأول، والتي تحمل اسمينا معا يتوسطهما قلبا من الياقوت الأحمر، جاءت الخادمة لتقول بأن العشاء معد وجاهز للتقديم، وضعت الهدية والمظروف على السفرة، أضأت شمعتان حمراوان بعدها فتحت اللابتوب بغرض البحث عن مقطوعات فيردي ونص الريجوليتو.

لا أدري لماذا وجدتني عوضا عن ذلك افتح مجلدا للأغان العربية واختار أغنية بعينها لعبد المجيد عبد الله:

"ماهي ها الليلة وبس * وأنت متغير علي

صار لك كم ليلة * وأنت بالك ما هولي"

صوت باب الشقة يفتح، خرجت باتجاه المدخل، كان القادم بدر، رأني فابتسم، سرت نحوه في دلال بخطوات متسكعة وذراعي معقودتان وراء ظهري ثم سألته وأنا ألهما حول رقبته:

- ممكن نعرف سر الابتسامة يا باشمهندس؟

كشاش الحمام

- كنت عارف إنك هتلبسي العقد ده النهاردة.
طبع قبلة خاطفة على جبهتي، بالكاد لامستني شفتاه، ثم فك ذراعي من حول رقبتة مكملًا:
 - كل سنة وانتي طيبة.
شعرت بشيء من الإحراج لفكه ذراعي، حاولت مداراته وأنا أجيبه:
 - وأنت طيب يا حبيبي، العشا جاهز.
 - هاخذ دش سريع.
- "حاضر بقلبك وغايب * وأنا قلبي فيك دايب"**
- "ليه يا أغلى الحبايب * أنت سامع عني شي"**
- وضع جهاز صغير مستطيل الشكل بحجم قبضة اليد على الطاولة الجانبية فسأته:
- إيه ده، موبايل؟

كشاش الحمام

قال وهو يتجه إلى غرفة النوم ويخلع ملابسه متجهاً إلى الحمام:

- ده جهاز "Interactive Hologram" للاجتماعات عن بعد وصلني مخصوص للتجربة من الشركة الصينية اللي مضيئا معاها عقد شاشات العرض، إمكانياته جبارة يا جيسي، بيحط فلتر ثلاثي الأبعاد على أي جسم متحرك بدرجة وضوح ودقة حركة فائقة الاستجابة، كل اللي بتحتاجيه إنك تحطي لزقة صغيرة على المفاصل الرئيسية في الجسم، جربته النهاردة وأنا قاعد ويا الدكتور عبد الله.

- ورأيه إيه؟

- قصدك حصل له إيه، أصل أنا قبل ما أنزل معاها صورت كاريمان بجلابية البيت والرولو في شعرها وخليتها ترفع حاجبها الشمال لفوق وتبص بصة المافيا بتاعتها دي، ركبت الفلتر عليا وأحنا قاعدين في الكافية من غير ما ياخذ باله، لو تشوفي وشه ساعتها، كان هيروح مني والله، وقعد يقوللي عيلتكم دي هتخلص عليا ونفسي أشوف حسام إبنني اللي في استراليا قبل ما أموت.

كشاش الحمام

- مش هتبتل مقالبك دي، أوعاك تعملها فيا أنا بقولك أهوه.

لم يعلق، سمعت بعدها صوت الدش، وضعت رشتان من عطر بولجاري المحبب له وجلست انتظره على السفرة.

"أنت من مده وحالك * للأسف صاير غريب"

وصار عادي عندك أنقى * وعادي عن عينك أنغيب"

بعد دقائق شعرت به قادما من ورائي، لف ذراعاه بأكمام البرنص حول عنقي واضعا شيئا ما عليه، كان كويله جديد، قبل رأسي وهو يقول:

- كل سنة وانتي طيبة.

ثم وضع أمامي على السفرة مرآة صغيرة لأتفقد الهدية وجلس إلى كرسيه، نعم كويله جميل، لكن ليس في جمال العقد ذو القلب الأحمر، مرت ثوان من الصمت، دفعت بعدها بعلبة هديتي باتجاهه وأنا أقول:

- وكل سنة وأنت معايا.

كشاش الحمام

أمسك بالعلبة وابتسم وهو ينظر اليها دون يفتحها وإنما وضعها مرة أخرى على السفرة، وبدأ في تناول الطعام، ابتلعت ملعقة من الحساء كمن يبتلع حجرا وابتلعت معها شعوري بالإهانة للمرة الثانية لعدم اهتمامه بفتحها، سألته:

- كاريما و دكتور عبد الله كانوا عاوزينك في إيه؟

- عازميننا على الغدا، وهشام غالبا هيبجي.

- يا ريت تتصالحوا بقي، مش بحب احشر نفسي بينكم بس صعبان عليا إن موضوع بيع بيت المنيل يفضل سبب للمشاكل بينك وبين أخوك، ما تشوف حل وسط، مثلا ممكن تشتري بيت أو حتى مزرعة في اى مكان تاني لأونكل نعمان ويعمل فيها عشش الحمام اللى هو بيعبها.

توقف عن الأكل ونظر إلى طويلاً ثم قال:

- غريبة!

- إيه الغريب في اللي بقوله؟

كشاش الحمام

- المفروض إنك اكثر واحدة ترفض بيع البيت ده، إحنا كل ذكرياتنا فيه، وإلا عشان باباكي باع لهشام بيته يبقى المفروض أبيع أنا كمان؟ انتى عارفانى كويس، لا شغل الفنادق والسياحة ولا الفلوس كفتهم عندي ممكن تميل قصاده؟

حاولت الابتعاد بالحديث عن هذا الاتجاه وتلطيف الأجواء قليلاً
فقلت:

- حبيبي أنا عمري ما انسى إننا حبيننا بعض وكبرنا مع بعض هناك، دي حاجات محفورة في قلبي وعقلي، فاكر يا بدر أما كنا نلعب استغماية مع العيال ونروح نستخبى في بيت المانستيرلي والحراسة هناك يرجعوننا ويشتكوا لبابا ولأونكل توفيق الله يرحمه، ولما يدوروا علينا في جنيئة محطة الميه من خوفهم لا نغرق أو نقع في الخزان.

أنا اقتراحي دلوقت سببه انى شايفاك متمسك بالبيت
اكثر علشان اونكل نعمان عايش فيه وده شعور جميل قوي
منك، إنما افرض أنه هيرحب؟ يبقى ليه مش ترضيه وترضى

كشاش الحمام _____

أخوك في نفس الوقت، كلهم عيلتك وبتحبهم وهو كمان عمّ هشام زي ما هو عمك ويهمه علاقتكم ببعض تبقى كويسة.

لم يعلق على اقتراحي، وإنما سأل:

- إيه الظرف اللي هناك ده؟

- مفيش، خلص أكلك الأول وبعدين ابقني افتحه.

وكأنني قد طالبته بالعكس، ترك الملاعقة ونهض ساحبا إياه وهم بفتحه. خفق قلبي لحظتها بشده فوجدتني أندفع قائلة في محاولة لا إرادية مني لإلهائه عن مطالعة محتواه:

- أنا مسافرة إيطاليا على فكرة.

رفع رأسه نحوي ووضع المظروف قبل أن يخرج ما بداخله ورفع حاجبيه وهو يسأل:

- عندك عرض جديد؟

كشاش الحمام

- الريدجوليتو في أوبرا دي روما، إلينا بتسلم عليك، بقولك صحيح، ينفع تيجي معايا؟ مش نفسك نتفسح في إيطاليا مع بعض؟

نظرة طويلة خاوية لم أفهمها وأن لم تشعرنى بالارتياح، قال معها:

- مين مسافر معاكم من المعهد؟

- لا، أنا إترشحت solo، وغالبا هاخذ أجازة ثلاث شهور علشان البروفات والتحضير.

النظرة الباردة الطويلة تراوح مكانها، أدرك أنه يحملق باتجاهي منذ فترة، وانتبه لعلامات التساؤل البادية على وجهي فأطرق برأسه نحو طبق الطعام وشرع يعبث فيه بالمعلقة في حركات دائرية ثم قال دون أن يرفع ناظره نحوي:

- مروان عادل هيسافر معاكم؟

كشاش الحمام

أدركت هنا مغزى سؤاله الأول، ها هو قد نجح في شحن بطارياتي للعمل على الرغم من كل محاولاتي السابقة لتلافي أيّ صدام الليلة بالذات، رددت في حدة:

- بلاش تبدأ الخناقة إياها أبوس إيديك، لا المناسبة ولا أعصاي هيتحملوها النهاردة، قولتلك أنا جايلى ترشيح لوحدي، بلاش نبوظ اللحظة دي أرجوك.

"وردتك نسييت عبيري * وصرت ما أعرف ويش مصيري"

- سؤالي بسيط، ما يضايقش للدرجة دي.
- بدر، أنت فاهم وأنا فاهمة كويس قوي تلميحك من ورا السؤال، وسبق وقولتلك أنا لا هقبل على نفسي ولا على كرامتي ولا على علاقتي بيك حوار بالمستوى المتدني ده تاني، لو سمحت وقف هنا.

عاد يتناول طعامه وكأن لم يقل شيئا مستفزا، أخذ ملعقتان التقط بعدهما المظروف مرة أخرى وفتحته ليطلع محتواه، تبدلت ملامحه إلى الصرامة والتقي حاجباه في تحد، الآن صرت أعرف يقينا ما هو قادم.

كشاش الحمام

- ودي هتبقى المرة الكام يا ياسمين؟ متهيألى أنا قولت قبل كده مش هدى عينات لحد تاني.
- الدكتور أكد أنها تكنولوجيا جديدة تماما في المانيا ونسبة نجاحها بالنسبة لحالتنا كبيرة، والله يا بدر أنا ما.....
- خبط بيده على السفارة مقاطعا في حده وصوته يعلو أكثر:
- أنا عارف طبعا إن مش إنتي، أمك وسعادة السفير بيعاملوني على أنى فأر معمل، مفيش وراهم في الدنيا هم ولا شغلانه دلوقت غير متابعة آخر ما توصل إليه العلم في علاج العقم وأمراض الذكورة، بقوا بيراسلوا المستشفيات والمعامل ويبعتوا لي المواعيد، قوليلهم أنك متجوزة بني آدم يا ياسمين، نفس بتتألم وبتحس، إنسان المفروض إن بينك وبينه حاجات لا فاهمينها ولا هي فهموها.
- !.....
- الشيء اللي بقي يحيرني فعلا هو إنتي، بقيتي تطاوغيهم بمنتهى السهولة، كأنك ساعي بريد أو عسكري مراسلة بيوصلي

كشاش الحمام

التعليمات والمواعيد من الإدارة، إنتي بقيتي مع مين؟ أو بالأصح بقيتي فين؟

- بدر إهدى لو سمحت، بابا وماما ملهومش دعوة المرة دي.

لم يهدأ أو يتوقف، وإنما تابع وصلة الغضب البرية:

- أنا عاوزك تبصي في وشي دلوقت وتنسى أيّ مشاعر أو ذكريات، ركزي على بكرة وحكمي عقلك كويس في الكلام اللي هقوله. ياسمين أنا عقيم، مبخلفش، مفيش في مستقبلنا وفي حياتك معايا كلمة ماما، الشيء اللي بتحلم بيه أيّ واحدة ست طبيعية في حياتها أنا مش هقدر أقدمهولك.

قام من مكانه ووقف أمامي ثم جثا على ركبتيه عند قدمي وجذب كلتا يداي فجأة ليلطم خديه بهما بقوة أفزعنتي مكملًا:

- مفيش غير الوش ده، اللي مهما كنتي بتحبي تبصيله هيعجز ويكرمش بعد كام سنة، الشعر ده هيببيض وساعتها مش هتلاقي أيّ تعويض، مش هتشوفي نفسك وشبابك في حد شبهك،

كشاش الحمام

ومش هتنفكع مشاعر زمان، هاه يا ياسمين، قولتي إيه، لسه حابه تكلمي معايا؟

كل خلية في جسدي ترتجف، سحبت ذراعي بقوة كادا ينخلعا معها بسبب إحكام قبضته، دموعي تنهمر رغما عني، قلت بصوت محشرج مختنق:

- إنت بقيت بشع يا بدر، بشع، صعبان عليك لحظة واحدة تعدي علينا في هدوء، بتحاصرني في كل مرة أحاول أخرج نفسي وأخرجك فيها من اللي إحنا فيه، إحنا لا أول ولا آخر ناس تتحط في الظروف دي حرام عليك أنا وأنت بنموت ببطء.

- جاوبي على سؤالي.

صرخت صرخة تليق بحجرة سوبرانو محترفة، صرخة من النوعية التي توقظ النائمين في قبورهم:

- مش هجاوب، مش هتفرض عليا كلام أقوله بالعافية، قولتلك مليون مرة أنت الوحيد في الدنيا دي اللي ما ينفعش احكم عقلي بس معاه، بس أنا خلاص، تعبت، مش هقعد كل مرة أبرر لك وأهديك، وأدافع عن نفسي في تهمة أنا معملتهاش،

كشاش الحمام

لو أهتميت بفرصة ممكن ترجع لنا الأمل وترجعك ليا يا إما أبقى بهينك يا إما أبقى لدولة أهلى.

ولو سيبتك تهدي شوية وقفلت على الموضوع فترة وركزت في شغلي أبقى شايفة لي شوفة مع كل واحد بيقوللى صباح الخير، بقيت أشوفك تمسك موبايلي وتفتش فيه وبسكت، بتهان في نفسي وفي كرامتي كل يوم، حتى بنت أخويا يوم ما أدلعتها أو أجيلها هدية بقيت من وجهة نظرك بعمل ده علشان أعوض إحساسي بالحرمان.

حرام عليك، أنت بتعاقب نفسك وبتعاقبني على ذنب محدش فينا ارتكبه، أنا خلاص تعبت، مبقاش عندي حلول أكثر من إننا نبعد كام يوم وبعدها نرجع تاني نكرر نفس المواقف ونفس الإتهامات ونرد نفس الردود.

-

دقائق من البكاء منكفأة على طاولة السفارة دافنة رأسي بين يدي، هو حتى لم يتحرك من مكانه لتهدئتي، هذا مستوى جديد

كشاش الحمام _____

من برودة المشاعر لديه، رفعت رأسي وقلت في محاولة
للتماسك وأنا امسح دموعي في فوط المائدة:

- أنا هسافر بدري، هحجز بكرة.

بنبرة يأس وانكسار وبصوت خفيض قال دون أن يرفع ناظريه
إلى وجهي:

- لأ، مفيش داعي، أنا اللي ماشي.

بعد دقائق كان قد غادر المنزل مع حقيبة سفر صغيرة بينما أنا
أراوح مكاني على السفرة، معلنا بذلك انتهاء مراسم احتفالنا
السعيد بعيد زواجنا الثامن.

"في بسمتك دايم لغيري * وفي قسوتك دايم على"

7

جسيم الإله



يحكيها مدير التطوير

مينا ميخائيل معكم مرة أخرى، احضروا كوبا من الشاي بالحليب
وعيدان البقسماط بالسّمسم وتعالوا نكمل.

شمل منهجنا الدراسي في الجامعة الوطنية بكيف مبادئ
الفيزياء الحديثة وميكانيكا الكم وأساسيات الحوسبة الكمية،

كشاش الحمام

اتيحت لنا الفرصة للقاء نجوما لامعة في ذلك العالم، أسماء مثل برايان جرين وبول ديفز وهوكنج وغيرهم.

حاضرنا وناقشناهم واستمعنا لأفكارهم وتصوراتهم لما هو قادم، أعواما أربعة بين نظريات وافكار ومعادلات ماكس بلانك ونيلزبور وهايزنبرج وشروندجر وديراك وغيرهم، مررنا بمرحلتين رئيسيتين، الأولى دراسة الجسيمات المكونة للمادة والثانية دراسة تطبيقات فيزياء الكم.

ماذا؟ تقول إن المصطلحات غريبة؟ حسنا، لا داع للسباب وتعال احكي لك حكاية:

القصة بدأت بالأمس القريب، القريب جدا، قبل الفان وأربعمائة عام فقط. وتحديدًا مع اليوناني "ديموقراتوس". الرجل الذي نادى بأن المادة لا يمكن تقسيمها إلى قطع أصغر بشكل مستمر لا نهاية له وأنها حتما سنصل لقطعة غير قابلة للانقسام، فلنسمها اذن ذرة "Atom"، شكره الجميع على الفكرة العبقريّة ثم انشغلت البشرية بعدها في أمر ما لا أدري ما هو طوال الألفان ومائتا عام التالية.

كشاش الحمام

إلى أن جاء الفيزيائي البريطاني "طومسون" في نهاية القرن التاسع عشر وتحديدًا في العام 1897م واكتشف أن هذه الذرة تحمل شحنات كهربائية بعضها طاقته سالبه وبعضها موجب، وقدّر "طومسون" أن هذه الذرة تشبه الكوكيز التي تصنعها جدته بحيث يمثل عجيب القرص فيه الجزء الموجب وتمثل حبات الزبيب الجزء السالب.

عقب ذلك بعدة أعوام جاء مواطنه الفيزيائي اللورد "راذرفورد" ورأى أن طومسون حين صرح بذلك كان جائعًا بعض الشيء ليس أكثر، قال أنا لذي فكرة أفضل من نماذج المعجنات التي اقترحها استاذي.

سوف أضرب الذرة ممثلة في شريحة رقيقة جدا من الذهب بإشعاع ألفا وأراقب مسار ذلك الإشعاع وبكل تأكيد سوف يفسر لي مساره بعد التصادم ماهية محتوى الذرة من الداخل فقد ينفذ أو يرتد أو ينحرف.

وجد بتجربته أن شكل الذرة مثل الكرة، تتمركز في منتصفها الشحنة الموجبة "البروتونات" بأغلب الكتلة بينما تتواجد

كشاش الحمام

الشحنات السالبة "الإلكترونات" خارج هذا المركز مبعثرة على مسافات بعيدة جدا عن نواتها (بشكل نسبي طبعاً بالنظر إلى حجم الذرة)، وأتت وللعجب معظم الذرة فراغ.

لكن اللورد هنا أصابه اكتئاب شديد لتناقض ما اكتشفه مع قانون قائم ومستقر هو قانون "كولوم" الخاص بتجاذب شحنتين في الفراغ، والذي بموجبه من المفترض أن تتجاذب الشحنات السالبة تلك مع الشحنات الموجبة في المركز وتتهار الذرة على نفسها أنهى، ولكن ذلك لا يحدث، كيف؟

قال لنفسه لا يمكن أن يفسر مثل هذا التناقض سوي أن تكون الإلكترونات السالبة متحركة وتدور في مدارات حول النواة ودورانها هذا هو ما يمنع انجذابها نحو المركز، صورة أشبه بحركة الكواكب حول الشمس.

إلا أنه سرعان ما عاد لاكتتابه مجددا حين اصطدم هذه المرة بالنظرية الكهرومغناطيسية والتي تفترض وأتت طالما وأن الإلكترونات تدور فهي تحتاج لقوة محرّكة.

كشاش الحمام

بمعنى آخر أنها تفقد من طاقة وضعها وتطلق إشعاعا وكلما دارت فقدت من الطاقة وقلت زاوية دورانها أو انحرافها حتى يصير مدارها بيضاويا أكثر فاكثرا لينتهي الحال بأن يشبه المسار الخط المستقيم وتصطدم بالمركز.

"أوووف"، لكم انتى قاسية أيتها الفيزياء. هكذا ظل يناجي شجونه إلى أن زاره في جامعة مانشستر شاب دانماركي ذكي ونشط يشبه كثيرا نجم هوليوود الأمريكي "همفري بوجارت".

اسمه "نيلزبور" جاءه وقال له لا تحزن، هناك عالما فذا أعرفه وتعرفه معي اسمه "ماكس بلانك" قد أهدانا الحل، بلانك يقول لك أن الطاقة تكتسب وتفقد في شكل قطع "كمات" وليس في شكل إشعاع مستمر كما تتصور.

نعم يا سيد راذرفورد كلامك صحيح عن دورانها في مدارات لكنها لا تشع وإنما تنحبس طاقتها ولا تفقدها طالما هي على المدار بزواوية انحراف محددة فإذا اردنا لها أن تصدر إشعاعا فما علينا سوى أن ندفعها لاتخاذ مدار أعلى وأن نعطيها قدرا محددنا من الطاقة لا يزيد ولا يقل لتدور في مدارها الجديد.

كشاش الحمام

عندها فقط وهى تعود لمدارها الأصلي سوف تطلق إشعاع فرق طاقة له تحليل طيفي محدد يختلف من مادة إلى أخرى، والملفت هنا أن إعطاءها قدر اقل أو اكبر من الطاقة لن يفيد أو يحدث تغييرا ما لأنها تتعامل مع عدد محدد من قطع الطاقة "الكلمات".

طبعا بين ذلك التفسير عظمة ما قدمه ماكس بلانك في مبدأ تكميم الطاقة والذي بنيت عليه ميكانيكا الكم بأسرها فيما بعد. لكن بقي أن أقول هنا (أنا مينا ميخائيل) أن نتائج نيلزبور اتسمت بدقة عالية لسبب هام هو بساطة ذرة الهيدروجين التي طبقت عليها تجربته الأولى وتحوي بروتون وإلكترون واحد.

بعد ذلك في عام 1932 جاء العالم البريطاني "جيمس تشادويك" واكتشف جسيم آخر متعادل الشحنة سماه نيوترون ملتصق بالبروتون وهو يعمل كقوات حفظ السلام بحيث يمنع البروتونات من التنافر وتمزيق الذرة ويبقيها بمركز النواة.

عند هذا الحد كانت الأمور منطقية رائعة وقابلة للسيطرة عليها، وقد سعد بهذا النموذج البسيط كثيرون من محبي العلم الأليف

كشاش الحمام

المستأنس الذي يمكن تلقيه مع وجبة الفطور أو أثناء الاستلقاء في البانيو الدافئ.

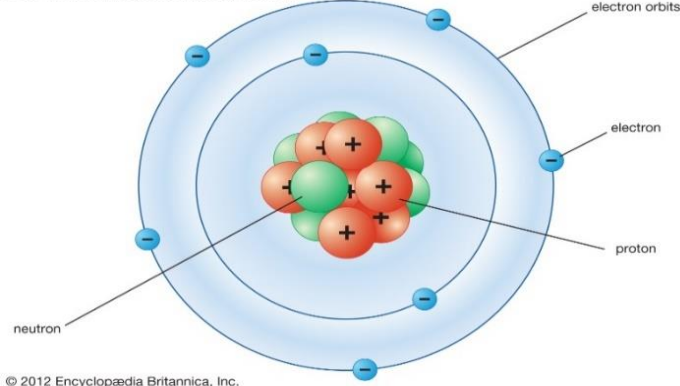
أسعدهم بالتأكيد كان الاستاذ عنتر البنهاوي مدرس الفيزياء بمدرستي "محمد فريد الثانوية بنين" والذي فقدت شبرا على يديه نصف زهرة شبابها من طلاب العلم وانسحقت تحت رحي دروسه الخصوصية وملخصاته ميزانيات بيوت وتشتت أسر.

ها هو يقف في منتصف الفصل وقد شغل كرشه حيزا لا بأس به من الفراغ يشخط في طالب نحيف ملوحا برجل سفرة خشبي عملاق: "قوم يا جحش أشرح لنا قانون أوم، وإلا أقولك، قل لي مين أكبر، العدد الذري للسيوم وإلا الليثيوم؟"

يقف المسكين مذعورا يفتح فمه ويغلقه كالسمكة دون صوت، هو لم يميز مما قاله الاستاذ سوى كلمة "جحش"، كنت تعرف يقينا أنه يساومه بين الدرس المسائي أو أن يبيعه روحه.

لكنك بالطبع عاجز عن فعل أي شيء لتساعده، من منا يرغب في تجربة الفيزياء الحقيقية عندما يصطدم رجل السفرة المنجنيقي هذا بمؤخرته.

Bohr atomic model of a nitrogen atom



لكنها لم تدم لأحد يا استاذ عنتر والأمور في طريقها إلى تعقيدات
تمثل خطرا جديا على ماكينة جنيهاك، وعلى مستقبل منهج
الوزارة.

فلقد تحولت الذرة فيما تلي ذلك من عقود إلى غابة حقيقية
يكتشف فيها يوما تلو الآخر نوعا جديدا من الجسيمات حتى
أطلق العلماء على الذرة مصطلح "The Particle Zoo".

كشاش الحماام

مثلا اكتشف الفيزيائي "أندرسون" وجود جسيم مشحون بالموجب وبالسالب أيضا يتواجد في ذرات المادة إذا ذهبنا بها إلى طبقات الجو العليا كتلته متوسطة بين الإلكترون والبروتون لذا أسماه "الميزون" أو "الميون"، كما تم اكتشاف جسيمات معكوسة الشحنة لكل جسيم مشحون سميت "نيوترينو".

هؤلاء العلماء سامحهم الله لا يهمدون أبدا، تخيلوا أن شيطاننا منهم قد تفتق ذهنه عن فكرة مؤداها أن يصادموا الذرات بعضها ببعض عند سرعة قريبة من سرعة الضوء لتفتت ويقومون برصد وتحليل ما ينتج عن التفتت من جسيمات أصغر.

ومن ثم يمكن التعرف على خصائصها ومعرفة ما هو أساسي "Fundamental" منها اي لا يتجزأ وما هو قابل للتجزئة ولهذا الغرض قاموا ببناء ما يعرف بالمصادم الهيدروني الكبير "The Large Hydron Collider".

حتى وصل العالم حاليا لما يعرف باسم النموذج القياسي للجسيمات "Particle Standard Model" والذي أظهر أن الإلكترون جسيم أساسي "Fundamental" لا يتجزأ بينما

كشاش الحمام

البروتونات والنيوترونات ليست أساسية وإنما تتجزأ لجسيمات أصغر اسمها الكواركات "Quarks".

والكواركات هذه تأتي على ستة أنواع العلوي، السفلي، الساحر، والغريب، القمي والقاعي. من فضلك لا تسألني عن سر التسميات الآن، هذا من باب الرأفة بك لا أكثر.

أظهر النموذج أيضا أن الإلكترونات والميزونات "الميونات" والنيوترينو تسمي في مجموعها لبتونات "Leptons" لا يا سيدي، ليست ماركة الشاي، الأحرف مختلفة.

وان اللبتونات مع الكواركات يعتبرا في مجموعهما مشكلات للمادة واسمها معا الفيرمونات "Fermions" وذلك من أجل تمييزهم عن الجسيمات الأخرى التي تتواجد بالذرة لكنها لا تشكل المادة وإنما تتواجد فقط لتحمل القوى وتنقل تفاعلاتها واطلقوا عليها اسم البوزونات "Bosons".

مثل جسيم الفوتون "Photon" والذي يحمل القوة الكهرومغناطيسية وجسيم الجلون "Gluon" الذي يحمل القوة النووية الشديدة والمسئول كالصمغ عن لصق الكواركات

كشاش الحما

بعضها البعض ثم جسيمي Z و W المسئولان عن حمل القوة النووية الضعيفة التي تخدم التحلل الإشعاعي عند تحويل البروتون إلى نيوترون والعكس.

لا زلت أسمع السباب بالمناسبة، ليكن، من منا شكر والديه على ملعقة المضاد الحيوي أبيض اللون مرير الطعم، سوف أواصل حكايتي في شموخ.

ثم كان الاكتشاف الأعظم في حديقة الجسيمات، جسيم الإله، نعم كما قرأت، هكذا أسموه، هو البوزون المسؤول عن منح الكتلة لكافة الجسيمات الأخرى التي ذكرناها أيّ الذي يمنح الكتلة للمادة.

هو جسيم هيجز "Higgs Boson" نسبة للعالم الأسكتلندي "بيتر هيجز" والذي تنبأ بوجوده عام 1964 لتثبت صحة تنبؤه هذا بعد 47 عامٍ وتحديدًا عام 2011 عندما تم اختبار المصادم الهيدروني الأوروبي في فرنسا.

كشاش الحام

Standard Model of Elementary Particles					
three generations of matter (fermions)			Interactions / force carriers (bosons)		
	I	II	III		
mass	$\approx 2.2 \text{ MeV}/c^2$	$\approx 1.28 \text{ GeV}/c^2$	$\approx 173.1 \text{ GeV}/c^2$	0	$\approx 124.97 \text{ GeV}/c^2$
charge	$2/3$	$2/3$	$2/3$	0	0
spin	$1/2$	$1/2$	$1/2$	1	0
	u up	c charm	t top	g gluon	H higgs
QUARKS	$\approx 4.7 \text{ MeV}/c^2$	$\approx 96 \text{ MeV}/c^2$	$\approx 4.18 \text{ GeV}/c^2$	0	
	$1/3$	$1/3$	$1/3$	0	
	$1/2$	$1/2$	$1/2$	1	
	d down	s strange	b bottom	γ photon	
LEPTONS	$\approx 0.511 \text{ MeV}/c^2$	$\approx 105.66 \text{ MeV}/c^2$	$\approx 1.7768 \text{ GeV}/c^2$	0	$\approx 91.19 \text{ GeV}/c^2$
	-1	-1	-1	0	1
	$1/2$	$1/2$	$1/2$	0	1
	e electron	μ muon	τ tau	Z Z boson	
	$< 1.0 \text{ eV}/c^2$	$< 0.17 \text{ MeV}/c^2$	$< 18.2 \text{ MeV}/c^2$	$\approx 80.39 \text{ GeV}/c^2$	
	0	0	0	± 1	
	$1/2$	$1/2$	$1/2$	1	
	ν_e electron neutrino	ν_μ muon neutrino	ν_τ tau neutrino	W W boson	
					GAUGE BOSONS VECTOR BOSONS
					SCALAR BOSONS

افتراض هيجز أن هناك حقلا يغمر الكون (اسمه أيضا حقل هيجز بالمناسبة وتعرفون لماذا) كلما حدثت في ذلك الحقل إثارة "Excitation" تولد معها جسيم أو بوزون هيجز.

بعد أن يتولد هذا الجسيم تتفاعل معه الجسيمات الأخرى دون الذرية المتواجدة في الكون لتأخذ كتلتها (تحديدا الفيرمونات فهي فقط مشكلات المادة كما قلنا)، وكلما كان التفاعل أكبر كلما كانت الكتلة أكبر.

عندما يتحرك الجسيم، الكترون أو بروتون مثلا، في مجال هيجز فإنه يعاني مقاومة من هذا المجال، تلك المقاومة هي ما يكسبه

كشاش الحمام

كتلته، أيّ أنّه كلما زادت مقاومة الحقل للجسيم كلما زادت كتلة هذا الجسيم.

تخيل معي الأمر بأنك تلقى كرة مطاطية في وعاء كبير جدا ملئ بالجيلي اللزج السائل. والمثير في جسيم هيجز أنّه الجسيم الوحيد في حديقة الجسيمات الذي لا يدور مثل الباقيين.

حسنا، تسألني الآن ومن الذي يحدث هذه الإثارة؟ قلت لك انهم أسموه جسيم الإله، الكلمة العليا، القوة المهيمنة، سر الخالق العظيم في خلقه، يبدو أنك لم تقرأ السطور القليلة السابقة بعناية.

المهم هنا أن جسيم هيجز أتاح بوجوده في النموذج القياسي للجسيمات إمكانية وضع قوى الجاذبية في النموذج للمرة الأولى، لأن الفهم الأفضل للكتلة يؤدي بالضرورة لفهم أكبر للجاذبية.

وأن كانت المشكلة الكبرى معه أن رصده صعب جدا ويحتاج مستويات عالية من الطاقة في مسرعات الجزيئات أو المصادمات كما أنّه يتولد ويختفي في كسر من الثانية.

كشاش الحمام

طبعاً جمجمة ألبرت أينشتاين كانت تبتسم في قبره، أينشتاين الذي طالما حلم بدمج نظرية النسبية العامة مع الكهرومغناطيسية في مفهوم واحد.

مفهوم يجمع القوى الفيزيائية الأربعة "الكهرومغناطيسية والنووية الصغرى والنووية الكبرى والجاذبية" في علاقة أو معادلة واحدة مفهومة تسمى الحقل الموحد.

رغم أنه أكد أن الجاذبية وهم وأنها ليست قوة أساسية وأن الكتلة والكثافة والطاقة التي يحتويها جسم ما موجود في نسيج الزمكان - كالأرض مثلاً- يسببون انحناء في هذا النسيج مما يجذب الأجسام الأقل إليه وما نسميه جاذبية ما هو إلا تشوه وانبعاج في نسيج الزمكان.

لكنه عموماً مات قبل إنهاء معادلة المجال الموحد ولم يفلح بعده أحد وأن كان هيجز قد اعطى املاً كبيراً خاصة وأن نظريته أثبتت بالتجربة عام 2011.

كشاش الحمام

كان بدر الصواف مفتونا باكتشاف هيجز الذي استحوذ عليه بشكل تام، بحث بشغف، قدم أوراقا وأجرى مناقشات صدع بها رؤوس أساتذته وزملاؤه على حد سواء.

حتى أطلقوا عليه في الجامعة هناك اسم " The Higgs Student" ويوم تأكدت النظرية وأعلنت المنظمة الأوروبية للأبحاث النووية "CERN" عام 2012 عن ثبوت صحتها تجريبيا كان بدر يتقافز ويصرخ كالمجانين.

كثيرًا ما تحدث معي أنا وعماد عن حلمه بأن يقوم باجراء أبحاث مماثلة يوما ما في مصر، أبحاثا بحجم المصادم الهيدروني والهدف الثابت وتجارب مضاد المادة وغيرها.

كنا نسخر منه، ذات مرة قلت له: "يلزمك تعمل جمعية تمويل بيها الموضوع ده"، بينما طلب منه عماد أن يحسب له متوسط الفرميونات التي يكتسبها كرشه في اليوم الواحد.

لكن بدر لم يلتفت للسخرية والنقد، اثبت الرجل أن في عالمنا أشخاصا قليلون تسموا عقولهم فوق النمطية، يمتزج عندهم الطموح بوضوح الرؤية، وحدهم قادرين على السير فوق خيط

كشاش الحمام _____

رفيع يفصل العبقرية عن الجنون، ذات مرة قال لي عبارة علقت
بذهني إلى الأبد:

"العاديون يسخرون من واقعهم بالكلمات، أما العظماء
فيسخرون منه بتغييره".

وقد فعل.

8

الطواشي صبيح



يحكيها الملك الأسير

" فقل لهم إن أضمروا عودة * لأخذ ثأر أو لقصد قبيح

دار ابن لقمان على حالها * والقيد باق والطواشي صبيح"

ابن مطروح

كشاش الحمام

مر بي أسبوعا لم أنطق خلاله كلمة واحدة، كان صبيح يدخل ويضع صحيفة الطعام في صمت مرتان كل يوم مع بعض المناشف. كنت أتعجب من كونه ذات نوع الطعام المفضل لدى والذي اعتدت على تناوله في فرنسا ومطهوا بذات الأسلوب تقريبا، كيف عرف؟

لكنني لم أسأل، نعم كنت أخشاه، جدير بي وأن أعترف بذلك، كلما دخل على كنت أشيح بوجهي إلى الجهة المقابلة خشية أن تلتقي عينانا مجددا. كنت في انتظار أن يأتي توران شاه لنتحدث وأعددت ما سوف أقوله جيدا.

لكن من أتاني في ثامن الأيام لم يكن هو، كان قائدا مملوكيا آخر يدعي بيبرس، أعرفه جيدا وأكن له من صنوف الكراهية ما يحملني على أن أعمل سيفي في جسده تمزيقا لو كنت أحمله معي.

دخل بيبرس وأنا أتناول طعامي فبصقته على الأرض عامدا وألقيت ما بيدي بعيدا، قال وهو يتمشى عاقدا كفيه خلف ظهره:

- ألا يعجبك طهو صبيح يا ملك الفرنسيس؟

كشاش الحمام

لم أجه، بقيت صامتاً ليعلم أنني غير مرحب بالحديث معه،
ولكنه سأل:

- تعرف من أنا؟

نهضت واتجهت نحو النافذة الصغيرة الوحيدة بالحجرة، قلت وأنا
أطالعها وامسح يداي بالمنشفة:

- بيبرس، المجرم الذي قتل فرسان الهيكل وذبح القديس

أرمان دي بيراجورس في غزة، أين سلطانك؟

- مميم، نتحدث عن المجرمين إذن، على ذكرهم، لقد

أمرت بالاحتفاظ برأس أخاك أرتوا، ما رأيك إن علقتها
على ساري الراية الذي تطل عليه نافذتك؟ لا بد وأنتك

تفتقده كثيراً، سوف يساعدك مرآها والغربان تنهشها
على التفكير الجيد، خاصة وأن إقامتك معنا سوف

تطول.

فار الدم في رأسي، لسنا في ميدان المعركة وسيفي ليس معي،

التفت إليه وهممت بالرد لولا أنه أكمل في تهكم وهو يشير إلى

بإصبعه:

كشاش الحمام

- أسمعت عن المقشرة؟ مكان جميل كفيل بإهدائك
أحلاما سعيدة إن زرته يوما، زاره قبلك بعضًا من فرسان
الهيكل، أنصحك بأن تستغفر لهم، أولست قديسا؟
ثم أقترّب مني وهو يطالعني بنظرة ثابتة وقال ضاعطا على
كلماته:

- هذا بالطبع إن كنت تحسبهم قد قضاوا على الحق
المبين.

هو يستهزئ بي وبالشهداء إذن، لكن عليه أن يفهم أن صفحته
ليست ناصعة البياض كما يدعي، قلت له:

- وما ظنكم بأنفسكم يا جماعة المماليك، ما أنتم إلا
فرسان هيكل لسلطنة المسلمين، لا تخدع نفسك.

قال وهو يشير بكفه ممانعا:

- ما من هياكل عندنا، ولا نبيع السماء للناس مقابل
العطايا، إنما نبتغي لله سبيلا. تعرف الآن عقبي التعدي
يا هذا، وأن لم أكن مأمورا لكنت أنت بين يدي الحق

كشاش الحمام

تري منقلب البغاة الظالمين، جزاء عدل لك ولمن جاءوا
معك.

لن يخدعني بالأعيبه النفسية، لو كانت لديهم نية قتلي لفعلوا
ذلك منذ اليوم الأول، هم يحتفظون بي رهن مساومة كبير،
والبراعة تكمن في تحديد المقابل، قلت له:

- اطلب من سلطانك الحضور فلدي ما أعرضه عليه.

اتجه نحو الباب وهو يهز رأسه يمينا ويسارا ويقول مستنكرا:

- لست هنا لأنبئك أمرا أو أنقل منك طلبا ولم آتيك
مفاوضا، إنما جئت لأتفقد علوم الأسري، ولا أخفيك من
الأسرار من شيء، انتابني بشأنك الفضول، وددت أن
أعرف ما إن كنت قد أقدمت على الانتحار ملكا رافضا
للإذلال أم أنك راض مستمتع بطعامك، وقد جاءني منك
الخبير.

قالها وانصرف خارجا صافعا الباب خلفه، جريت نحو الباب
وصحت في عصبية ممسكا بقضبان نافذته الصغيرة:

كشاش الحمام

- أحضر لي توران شاه يا بيبرس، لدى ما أعرضه عليه،
أتسمعني؟ أحضر توران شاه.

فجأة، وجدت أمامي وجه صبيح يطالعني من فتحة الباب
والتقت عينانا، هذه المرة طالعت وجهه في ضوء النهار وبوضوح
كاف، كانتا عيناه مصبوغتان بأكملهما باللون الأسود الحالك، لا
بياض فيهما، وتكرر ما حدث لي منذ أسبوع مضي، رجت جسدي
الرعدة من جديد وشعرت بروحي كأنها تغادر جسدي، ثم
سقطت على الأرض مغشيا علي.

أفقت من رقدتي عند المساء وتقيأت ما في معدتي، كنت أشعر
بإعياء شديد، وبأطرافي برودة الثلج، هذا الصبيح ليس بشريا، قد
رأيت رهبان الكنيسة ذات يوم عندنا يحاورون شيطانا حبيسا في
جسد واحدا من عمال المقاصف، كان يتحدث إليهم بصوت
جماعة من الناس لا شخصا واحدا، لا بد وأن صبيح هو الآخر مثله،
يسكنه شيطان يفعل بي ما يفعل.

تأكد ظني في تالي الأيام، كنت أشعر بالعطش لأجد الباب يفتح
ويدخل إلى بجرة الماء، أشتهي لحما فيأتي بي، به، أجاصا فأجده
أمامي، الشيطان يقرأ ما بخاطري.

كشاش الحمام

كان قد مر بي هنا شهران لم أطأ فيهما النساء والفورة تنهش جسدي، وضعت رأسي على الوسادة في تلك الليلة، لا أدري إن كان قد غلبني النعاس حقاً أم أنني كنت بعد في طور اليقظة.

لكنني رأيت امرأة عارية بارعة الجمال بارزة الصدر تقبل على وهي تراودني في دلال، فعلت بها فعل الحصان الراكض ثم أفقت بعدها لأجدنني محتلماً وقد فرغ سائلي وأزاري على لم أخلعه.

نعم احتلمت في شببي هذا، ليس لمرة واحدة وإنما لئال خمس متعاقبة، تأتيني فيها ذات المرأة كل ليلة حتى نالني التعب، الشيطان يقرأ ما بخاطري.

يجب أن أتجاوز معه، أخشى وأن يتوقف قلبي عن العمل في المرة القادمة جراء واحدة من نظراته، أدركت مع الوقت أنه يبقيني حياً متنعماً بالطعام والملذات ما بدوت أسيراً هادئاً خانعاً، ويعاقبني متى ثارت لي ثائرة أو سلكت مسلك الملوك المتعجرف.

أريده أن يتحدث إلى مرة أخرى، هل تراه يجيب؟، أعلم وأنه يسمع أفكارى تلك الآن ويدري مقصدي، الشيطان يقرأ ما بخاطري.

9

كمومية



يحكيها الضابط

في صباح اليوم التالي تلقيت إتصالا من القاهرة توجهت على أثره إلى مقر قيادة المنطقة الغربية، كان بانتظاري هناك اللواء طه العرابي مدير الدعم اللوجستي وممثل القوات المسلحة في مجلس إدارة مدار.

كشاش الحمام

كان منزعجا تشي تعبيرات وجهه بأن حدثا جلا قد وقع. قال أنه في ذات اليوم الذي عثر فيه على عماد ميتا سجلت أجهزة المشروع القيام بتجربة لم يكن مقررا القيام بها قبل شهرين من الآن وبقيم مختلفة أيضا عما خطط له وهو ما يعد اختراقا لسرية الأبحاث يستلزم كشف ملابساته كأولوية قصوي.

قال كذلك أن النشاط المعلن للمنشأة هو تصنيع معدات الاتصالات المخصصة للاستخدام العسكري، إلا أن هناك أبحاثا غير معلنة في مجالين آخرين أولهما تجارب حقول الطاقة وثانيهما الحوسبة الكمية.

طبعاً رأى آيات المعاناة على وجهي وأدرك أنني لم أفقه شيئا مما يقول فطمأنني بأنه رتب لي الآن اجتماعا مع أشخاص سوف يشرحون لي الكثير، وأنه يعتمد على فهمي الجيد لما سيقولانه، هزرت رأسي بالإيجاب متوجسا فرفع سماعة التليفون وقال:

- خليهم يتفضلوا.

دلف إلى الحجرة رجلان في ملابس مدنية أحدهما نحيل في عقده الخامس حسبما قدرت أشقر الشعر ذو ملامح أوروبية له نظرات

كشاش الحمام

حادثة وعينين متسعيتين أما الآخر فبدأ أكبر سنا ملامحه شرقية
مصرية غزا الشيب شعر رأسه ويرتدي نظارة طبية ضخمة.

- أعرفك يا سيادة المقدم، الدكتور عبد العليم نصير
رئيس قسم الفيزياء بكلية الهندسة جامعة الإسكندرية
المستشار العلمي لمشروع مدار والبروفيسور سيرج ياروليم
خبير من دولة أوكرانيا للمعاونة بقسم الأبحاث والتطوير، وهو
يتحدث العربية بشكل جيد.

استغربت وجود من يحمل جنسية أجنبية ضمن فريق العمل
الخاص بمشروع كهذا وأن لم أبدأ ذلك، صافحتهما وجلسنا إلى
طاولة الاجتماعات بركن الغرفة وبدأ اللواء العراقي الحديث:

- سيادة المقدم لديه استفسار عن طبيعة الأبحاث غير
المعلنة التي تجري في مدار أرجو من الدكتور نصير أن يتفضل
بشرح كل شيء من البداية، وليكن الحوار بالفصحى بعد اذن
الجميع تيسيرا على بروفيسور ياروليم.

اعتدل الدكتور نصير في جلسته ثم تنحنح وبدأ الكلام:

كشاش الحمام

- منذ خمس عشرة عامًا مضت أدركت الحكومة المصرية أهمية تناول الفيزياء الحديثة بالبحث على نطاق أوسع داخل مؤسساتنا العلمية والأكاديمية، وعلى وجه التحديد فيزياء الكم. تلك التي بزغت في نهايات القرن التاسع عشر وأثبت العديد من تجاربها ونظرياتها معمليا خاصة في ستينات وثمانينات القرن الماضي. يكفي وأن تعرف أن أشعة الليزر والميكرويف والمجهر الإلكتروني كلها تمثل تطبيقات لميكانيكا الكم.

كانت الجمعية الملكية البريطانية أحد أبرز الخيارات لإعداد الكوادر باعتبارها من أعرق الجهات التي خاضت في العلوم الطبيعية. لكن أوفد إليها فئة الباحثين فقط بينما تقرر إيفاد مجموعة متميزة من طلبة الهندسة إلى الجامعة الوطنية في كيبف وهي بدورها واحدة من أبرز الجامعات التي خصصت منهاجها دراسيا مستقلا لفيزياء الكم.

أشرت بيدي بعلامة طلب الوقت المستقطع التي يشهرها حكام كرة السلة وطرحت سؤال الأول:

كشاش الحمام

- ما هي فيزياء الكم وما الذي يفرقها عن الفيزياء العادية التي تعلمناها؟

رد ياروليم هذه المرة بلهجة ذكرتني بالخبراء الروس الذين تستضيفهم قنوات الأخبار العربية لطرح وجهة النظر الروسية في صراعات المنطقة:

- ميكانيكا الكم أو الكمومية أو الميكانيكا غير النسبية تتصدى للظواهر الفيزيائية على المستوى المايكرو فيزيائي أيّ المستوى دون الذري، بينما الفيزياء الكلاسيكية تفسر الظواهر على المستوى المايكرو فيزيائي أو الأحجام الكبيرة من المادة التي يمكن رصدها دون الحاجة للتدقيق المجهرى يشمل ذلك طبعا حركة الكواكب والمجرات.

- وما معنى كلمة "الكم" و"الكمومية" تلك؟

رد الدكتور نصير:

- هناك صفات طبيعية أو خصائص للقوي التي تحملها جسيمات أيّ مادة مثل الطاقة التي تكتسبها والشحنة الكهربائية واتجاه المجال المغناطيسي لها وغيرها، ولكي

كشاش الحمام

يكتسبها الجسيم أو يفقدها يلزم وأن تكون بكمية محددة حسب طبيعة كل مادة، أصغر كمية يمكن نقلها تسمى "Quantum" وجمعها "Quanta".

صاحب الفضل في اكتشاف هذا المفهوم هو العالم الكبير "ماكس بلانك" الذي تبين له وهو يدرس الإشعاع الحراري للجسم الأسود أنه لا يمتص أو يصدر الأشعة الحرارية في جميع الترددات، بل يلزم وأن تكون الترددات بكميات معينة.

أيضا "ألبرت أينشتاين" اكتشف أنه إذا عرض الكترونات الذرة من مادة ما للضوء فإنها لا تثار إلا إذا كان ذلك الضوء ذو تردد معين وهو ما يعرف بالتأثير الكهروضوئي.

أمسكت ورقة وقلمًا من على الطاولة وشرعت أدون ما يقوله حتى لا أضيع في منتصف الطريق. أكمل الدكتور نصير:

- الخصائص الكمومية للطاقة التي تحملها المادة عديدة فالفوتون كم بالنسبة للضوء أو المجال الكهرومغناطيسي، والفونون هو كم الموجات الاهتزازية للذرات في الأجسام الصلبة وهناك كم زخم الدوران للجسيم وهناك الجلوون وهو كم حقل

كشاش الحمام

القوة الذي ينقل القوة الشديدة وهناك الجرافيتون وهو كم حقل الجاذبية. باختصار وللتبسيط يمكن القول بأنه إذا كانت الفيزياء الكلاسيكية تحدثت عن أصغر جسيمات مادية كالإلكترون والبروتون فإن الكم "Quantum" هو وحدة الطاقة التي لا يمكن تقسيمها.

كنت استوقفهم عن الاسترسال بإشارة من يدي أثناء الحديث حتى أتمكن من الكتابة لذا وجدت أنه من اللباقة أن أعتذر عن هذا:

- عذرا للتدوين، سوف يساعدني على الفهم خاصة وأنني اسمع ذلك للمرة الأولى.

- لا عليك، نحن أيضا نرغب في شرح تجربة مهمة سوف تساعدك بدورها بشكل أكبر على الفهم، التجربة تسمى الشق المزدوج، وقد أجراها عام 1801 عالم بريطاني اسمه "توماس يونج"، واستهدفت بالأساس إثبات الطبيعة الموجية للضوء ولم يكن يعلم أنها ستفتح بعدها بابا لن يغلق.

كشاش الحمام

ثم أخرج الدكتور نصير وسيط تخزين أوصله بجهاز لابتوب متصل ببروجكتور للعرض على الشاشة البيضاء بالمكتب وقام بتشغيل ملف يحمل اسم "The Double Slit Experiment" وبدأ الشرح قائلا:

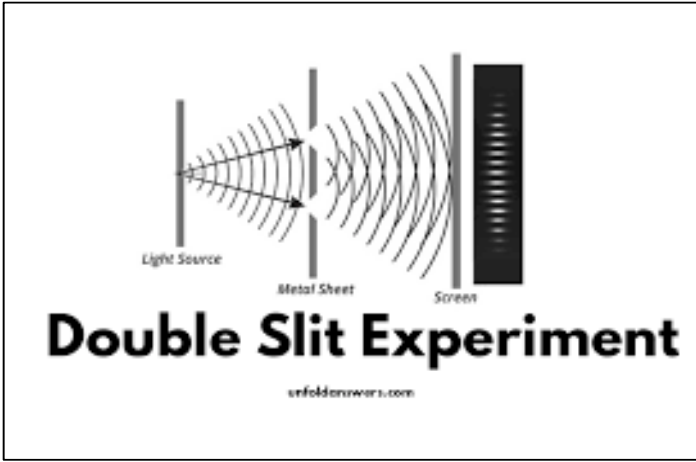
- يونج احضر لوحا أحدث فيه شقين متوازيين ووضع خلفه على مسافة ما جدارا كبيرًا ثم سلط على اللوح المشقوق ضوءا ونظر إلى الجدار متوقعا أن يجد خطان متوازيان من الضوء باعتبار أن الضوء مر من الشقين بشكل مستقيم.

لكن بدلا عن ذلك وجد مجموعة من الخطوط المتوازية أو الأهداب تختلف في درجة سطوع الضوء فيها، مما جعله يعتقد بأن الضوء موجة حين عبر من الشقين تكسرت الموجة إلى موجتين وعبرتا الشقين ثم اتسعتا لتتداخلا سويا بعد العبور مكونتان الشكل الذي تراه.

كان يتحدث والفيديو يعرض ما يقول، الضوء يذهب إلى اللوح المشقوق على شكل موجة واحدة تتكسر عند الشقين إلى

كشاش الحمام

موجتين تتداخلان بعد عبوره لتظهرها على الجدار في شكل خطوط طولية.



أكمل د. نصير:

- كما تري حين التقت قمة الموجة الأولى مع قمة الموجة الثانية ظهرتا في شكل خط مضيء على الجدار قوة سطوعه تتأثر بمعدل انحرافهما أما إذا التقت قمة الموجة الأولى مع قاع الموجة الثانية تلغيان بعضهما البعض.

كشاش الحمام

- عجيب هذا.
- بالعكس، لا عجب في ذلك، بل ويتفق مع ما حاول يونج إثباته بالأصل، الضوء تصرف كموجة، لكن العجيب فعلا هو ما ظهر حين قرر العالمان "ديفدسون وجيرمر" عام 1927 إجراء نفس التجربة لكن مع استبدال الضوء بجسيمات مادية "Particles" وتحديدًا إلكترونات مستخدمين مسدسا ذريا، في البداية أطلقوها بشكل جماعي "Laser Beam" فوجدا أن الإلكترونات كونت نفس النموذج الذي خلفه الضوء، أي نموذج الأعمدة المتراصة رغم وجود شقين فقط.
- لحظة، هل تعني أن الجسيمات المادية تصرفت هي الأخرى كموجات الضوء، كيف هذا؟
- عند رصد النتيجة عمّ الجميع الدهول مثلك تماما فتقرر أن يتم إطلاق الإلكترونات واحدا تلو الآخر وليس على شكل حزمة فتبين أن الإلكترون الواحد يخترق الشقين ويستقر على الجدار في موضع بعينه.

كشاش الحمام

ثم يكرر الإلكترون الذي يليه ذلك لكن في موضع آخر ثم الذي يليه والذي يليه وهكذا حتى ظهر في النهاية نفس شكل الخطوط المتوازية على الجدار وكأنها لعبة "Buzzle" يتم تجميعها، وكأن الإلكترونات تعرف في النهاية أن طبيعتها موجية.

تقرر بعدها اخذ التجربة إلى طور اعقد، تم إحضار جهاز كشف حساس "Sensor" خلف لوح الشقين مباشرة مهمته هي معرفة ورصد ما إذا كان الإلكترون سوف يتصرف عند عبوره الشق كموجة أم كجسيم.

تم تشغيل الجهاز الراصد ف لوحظ أن الإلكترونات كونتا خطين اثنين فقط متوازيين على الجدار وتصرفت كجسيمات هذه المرة وليس كموجات قبل وضع الراصد.

قلت مذهولا وبالعامية هذه المرة:

- نعم؟

- لا تدهش الآن أرجوك فما حدث لاحقا هو السيرك الحقيقي، عندما فصلوا قابس الطاقة عن الجهاز الحساس

كشاش الحمام

الراصد وكرروا التجربة، عادت الإلكترونات للتصرف كموجة مرة أخرى وتراصت مجموعة من الخطوط على الجدار.

أردت وضع نقطة نظام أرتب بها ذلك الهراء الذي يقوله فسألت حتى أتأكد من أنني على الطريق الصحيح:

- افهم من ذلك اذن أن الجسيمات تتصرف كموجة إن لم يتم رصدها وتتصرف كجسيم إذا تم الرصد؟ بل ولديها القدرة على إدراك أن كان هناك من يراقبها، بل وما إذا كانت المراقبة حقيقية أم مزيفة؟

- هذا ما تقوله التجربة، الجسيمات في أساسها تحمل الطبيعتين الموجية والجسيمية، إن تم مراقبتها ورصدها اتخذت طبيعة جسيمية ذات احتمال واحد.

ساد الصمت لدقيقتين كنت أدون فيهما ما قيل ثم صببت كأساً من العصير الموضوع على الطاولة، وطرحت سؤالاً جال بخاطري:

- وهل توجد معادلة أو قانون في فيزياء الكم يوضح عملية التحول من حالة الموجة إلى حالة الجسم؟

رد ياروليم:

- العالم النمساوي "إرفين شرودنجر" توصل في عام 1926 إلى معادلة رياضية عرفت باسم "معادلة الدالة الموجية" نتيجة لأبحاثه على ذرة الهيدروجين وهي ذرة بسيطة وغير معقدة تحمل الكترون سالب واحد وبروتون موجب واحد مثل فيها الإلكترون بموجة وليس جسيم واستطاع بها حل الطيف الموجي الناتج عن ذرة الهيدروجين، وبدون الخوض في تفاصيل فرعية للتجربة أقول لك أن عملية الرصد التي تتكلم عنها الآن هي التي تؤدي إلى أنَّهُيار الدالة الموجية للجسيم واتخاذها طبيعة جسيمية مادية وباحتمال واحد أو حالة واحدة فقط دائما.
- وبعد الرصد والتحول من الحالة الموجية الاحتمالية هذه إلى الحالة الجسيمية الوحيدة نحصل على شكل ذرة المادة التي نعرفها، أليس كذلك؟
- في بدايات القرن الماضي توصلت جهود علماء المايكرو فيزياء إلى مفهوم مبدئي وهو أن النيوترونات والبروتونات ليستا

كشاش الحمام

بأصغر وحدات الجسيم كما كان يعتقد، بل انهما تتألفان من وحدة أصغر من الجسيمات اتفق على تسميتها بالكواركات.

هذه الكواركات توجد على نوعين أحدهما هو الكواركات العلوية والأخرى هي الكواركات السفلية وصار مفهوما أن مادة الكون مصنوعة من ثلاث جسيمات فقط هي الإلكترونات والكواركات العلوية والكواركات السفلية.

لكن قطار الاكتشافات استمر دون توقف لأن الوضع قد تغير مرة أخرى في حقبة الستينات وجاء من يقول إن الطبيعة لا تتكون أو تتشكل من جسيمات الكواركات وإنما من حقول وأن هذه الحقول هي المكون الأساسي.

آه يا رأسي، هذه حفلة على شرف مخي المسكين، حلبة مصارعة لن تنفض قبل أن تسقط جبهتي على الطاولة ويصرخ أحدهم "لمس أكتاف".

المأزق الحقيقي المرعب أن القادم من الأمور مبني على اعتبار ما يقدماه لي السيدان الآن مسلمات وأدوات عمل، هذا يدفعني

كشاش الحمام

للتفكير جديا بالتوجه إلى القيادة وتقديم استقالتني. استأذنت في أن أشعل سيجارة، ثم سألت الدكتور نصير:

- وما هو الفارق بين مفهوم الجسيمات الذي تحدثنا عنه ومفهوم الحقول؟

- الحقل هو حيز مكون من مجموعة نقاط تمثل كل نقطة فيه قيمة ما، تخيل أنك أوقدت مدفأة في حجرة وقلت أن حيز تلك الحجرة هي حقل حراري فإن كل نقطة في هواء الحجرة تمثل درجة الحرارة فيها قيمة معينة. قس على ذلك كل ما تراه وتشعر به حولك من مادة، وضوء وموجات صوت وحرارة.

كل الموجودات عبارة عن استثارات أو اهتزازات في حقل من الحقول تجتمع معا بقيم معينة لتنتج أجسام هذا العالم المحسوس، الفوتونات والضوء ما هي إلا اهتزازات في المجال الكهرومغناطيسي، الإلكترونات هي اهتزازات في المجال الإلكتروني، البروتونات والنيوترونات هي اهتزازات في مجالات الكواركات العلوية والسفلية.

كشاش الحمام _____

اهتز على ذكر ما يقول هاتفي المحمول الموضوع على الطاولة، هذا الرائد حسن يتصل، استأذنت الحضور في تلقى المكالمة فمن الواضح أن جلستنا هنا سوف تطول.

أبلغني حسن بأن هناك بالفعل حادثا آخر قد وقع في مزرعة مجاورة للموقع يتعلق بالبلاغات التي وصلتهم سابقا وعلى ما يبدو أن الحادثين متصلين ببعضها، قلت له أنني سألتقيه بعد قليل.

عدت للطاولة مرة أخرى وقد قررت القيام بهجمة مرتدة فطرحت سؤالا:

- افهم من حديثكما أيها السادة بأن الكون طاقة موجية تتجسد إن رصدناها؟

علت ابتسامة كبيرة وجه ياروليم وغمز لي بعينه اليسرى وهو يقول:

- مرحبا بك في عالم الكم يا سيدي.

كشاش الامام _____

ثم شرع يتحدث أكثر هو والدكتور نصير ويتطرقان إلى نقاط أخرى في جلسة طالت.

10

الوجع ألوان



يحكيها المهندس

أعود إلى بيتنا القديم بالمنيل كلما عجزت عن اتخاذ قرار ما،
المكان بالنسبة لي هو معالج الحجامه، يصلح ما فسد من الروح
وينقيها من السموم بكؤوس دخان الذكرىات، نقطة هدوء من
أجل لملمة شتات النفس وإعادة شحن القوي بغية المواصلة.

كشاش الحمام

صار معدل زياراتي للمكان عال إلى حد ما في العام الأخير، لكنني أجد فيه مخبأي، مهربي منها إليها، المكان الذي أراني وأراها فيه في نسختنا الأولى، كلما شعرت بأنني قد آلمتها أهرب.

كلما أبكيتها لعنت ذلك المسخ الساكن داخلي دون أن تسمع لعناتي، ثم أتواري خجلا منها ومن نفسي. يفقد الاعتذار قيمته ومعناه بتكرار الخطأ ويفرض الصمت نفسه. أنا فاقد للسيطرة على الطفيلي القابع في صدري، ذاك الدخان الأسود الذي يقتات من عجين غضبي وبأسي وعجزي عن إيجاد الحلول.

يختار لحظات بعينها ليأخذ مني دفة القيادة ويخرج ليقتل ويجرح ويحير من أحب. ليتك تعرفين يا ياسمين، ليس هذا أنا، يبدو شكله شكلي وصوته كصوتي، لكن أنا الحقيقي هو من يقف هنا الآن.

جئت إلى عمي نعمان، الشخص الوحيد القادر غيرها على أن يسمع صمتي، صمتي الذي يستحيل لغة قادرة على أن تترجمها جدران بيتنا القديم. البيت من طابقين لا يقطنهما أحد حاليا تعلوهما شقة منفردة تحتل منتصف سطحه، يعيش هو فيها

كشاش الحمام

بمفرده، بينما نصف المساحة الآخر والذي أسماه مجازا "التراس" قد خصصه لجلسات الأصدقاء وعزف العود إلى جانب عشش الحمام.

عشق عمي تربية الحمام وعشقتها معه منذ الصغر، نعمان هو أبي غير البيولوجي، تعهدني برعايته بعد رحيل والدي وأنا في سن الثامنة، ولما يزيد عن عقد كامل عقب وفاتها كنت أقيم هنا معه بينما كاريمان وهشام يقيمان مع أبي في مصر الجديدة وهو وضع له أسباب يطول شرحها.

لم يتفقا أبي وعمي في العديد من الأمور وأن لم تصل علاقتهما إلى حد القطيعة، كان أبي يرى الحياة مجموعة معارك غايتها جمع المال وتحقيق النفوذ تخلفها بالضرورة معارك أخرى للحفاظ على المكتسبات وتأمينها.

في حين سخر عمي نعمان حياته وموارده في محاولات للإجابة عن أسئلة كبرى تبدو للسواد الأعظم من الناس عبثا ومضيعة للوقت، انتهى بهما الحال بأن نجح أبي في استثمار ارثه من جدي ليصبح من قمم رجال أعمال المقاولات.

كشاش الحمام

بينما أضع نعمان نصيبه من الإرث في أمور مثل التكفل بعلاج المرضى غير القادرين أو إنقاذ الخريت الأبيض من الانقراض أو تذوق متعة مشاهدة سحر أضواء الشمال بالعين المجردة في سماء النرويج، أفعال لن يتقبلها مجتمع الغابة دون إتهام صاحبها بالخبل.

وها هو الآن مقيما في شقة لا يدفع إيجارها منذ ثلاثة عقود تقريبا في بيت يملكه أبي ونحن أبناءه من بعده وأن كان أحدا لم يطالبه به يوما.

كان ضوء النهار قد بدأ يتسرب إلى الوجود حين ركنت دراجتي النارية بالمدخل وصعدت إلى الشقة العلوية، أولجت نسخة المفتاح التي يضعها هو في صندوق عداد المياه خارج الشقة ودخلت، وضعت حقيبتني جانبا وارتميت على الأريكة مسندا رأسي إلى ظهرها ومحملا بالسقف، جاءني صوته من التراس:

- فطارك على السفارة، اتأخرت ليه؟

- مش جعان، عرفت منين أني جاي هي كلمتك؟

- حماك سعادة السفير هو اللي اتصل.

كشاش الحمام

غريب هذا، لماذا يتصل به في هذا التوقيت المبكر من اليوم أو المتأخر من الأمس، ليست المكالمة بالتأكيد للاطمئنان عليه، حماي علم بما دار منذ ساعات ووجدتها فرصته الذهبية في إذكاء الشقاق والنفث في العقد. خرجت إليه، كان منشغلاً في تنظيف أرضيات العرش ووضع الطعام للطيور، قلت له:

- طبعاً عاوزني أطلقها؟

استمر على صمته لدقيقة، فرغ خلالها مما كان يقوم به وأغلق أبواب العرش، ثم نظر إلى طويلاً نظرة من يقول "أنت تعرف فما الداع للسؤال"، قال بعدها:

- أنت هتطلقها علشان بتحبها، علشان تحميها من بدر بتاع دلوقت وتسيب لها بدر القديم اللي تعرفه.

- مش طلبها.

اقترب مني وشرع ينقر بإصبع السبابة اليمني على صدري وهو يقول:

كشاش الحمام

- لا هي اللي طالبه، حتى لو الكلام على لسان أبوها، يابني أنت أقوى من أنك تخدع نفسك وتقول إنها رضخت لضغط من حد، أنت عارف أن أبوها كان معارض جوازكم من أول يوم، مكانش يحب توفيق الله يرحمه.

ومع ذلك ياسمين أجبرتهم وتجاوزتك، محدش عرف يأثر على قرارها، وهي رضيت وسلمت بالقدر بعدها، حاولت طول الوقت تهرب بيك بعيد عن حكاية الخلفة لكن أنت اللي كنت بتصر على الرجوع لنفس النقطة وتضغط على مكان الألم، كأنك بتختبر قدرتها على التحمل كل شوية.

كنت أنظر إلى الأرض في استسلام، ما يقوله صحيح على ما يبدو، مع كل محاولاتي لإلصاق الأمور بوالديها أعرف في قرارة نفسي أن ياسمين كانت ولم تزل سيدة قرارها، خاصة فيما يتعلق بعلاقتنا، لن يجرؤ أيا منهما على طلب كهذا ما لم تعط هي الضوء الأخضر. أكمل نعمان:

- من كتر حبك ليها جواك رافض انك تشوفها مستسلمة لقدرة مؤلم وأنت السبب فيه، أنتم الاثنين بتتنافسوا مين يضحى

كشاش الحمام

اكثر علشان الثاني، ومشكلتكم الحقيقية إن كل واحد فيكم
بيحب الثاني بنفس القدر، مفيش كفة قادرة تتغلب على الثانية،
الوضع ده هيدمركم لو استمر، لازم تبعدوا علشان ما يقتلكم
الحب.

ثم وضع يده على كتفي مكملًا:

- خليها تروح يابني، لما تخف حدة الضغط تتضح الرؤية
أكثر، تأخذوا المساحة والوقت لترتيب الأولويات بفهم وادراك
احسن وكل واحد يعرف إيه بالنسبة له الأهم وإيه ممكن يبجي
بعده.

أنهى كلماته ثم امسك بالعود وجلس تحت التكهيبية وشرع
يدندن أبيات من قصيدة أعرفها جيدا لجلال الدين الرومي:

"ما كان البعد زهدا بيننا * وكيف أزهديك وأنت أنا

ولكنها الأقدار خطت أمرنا * فضاقت على وسع الزمان لقاؤنا"

وقفت استمع لغنائه مستندا إلى الجدار وأنا أفكر فيما قال.
ينفصل الأزواج لاندثار المشاعر، للخيانة، أو لقسوة المادة، أما في

كشاش الحمام

حالتنا وبقدر ما يحمله الأمر من غرابة بالمنطق العادي، يقف الحب سببا وحيدا بإمكانه أن يقودنا أنا وياسمين إلى الانفصال.

في الأشهر الأخيرة صار يراودني حلم يتكرر بين الحين والحين، كنت أراها فيه تتزوج من آخر وتنجب منه طفلا، الغريب انني كنت أري تفاصيل وجه هذا الطفل هي نفسها في كل مرة، للعجب كنت أشعر نحوه بالحب.

لا أدري إن كانت تلك هي ما يصفه الناس بمشاعر الأبوة أم لا، لكنني كنت أحبه وكان هو أيضا يبادلني الحب ويتحدث إلى كأني أباه، هل أنا مجنون؟

رن هاتفي المحمول لأفيق من أفكاري وجلا، هذه خديجة مديرة مكتبي رددت مستغربا اتصالها بي في مثل هذا التوقيت المبكر من يوم عطلة، وكان ما قالته لي كفيلا بأن يسقط الهاتف من يدي، رأني نعمان فتوقف عن العزف وسألني في هلع عن سبب الدموع التي تملأ عيني. خرجت مني الكلمات بصعوبة وأنا أحاول تصديق ما انطق به:

- عماد مات.

11

ذو السهيف



يحكيها الملك الأسير

قابل مطلبي بالتجاهل، يأتيني بالطعام والأغذية في هدوء كأني
خادم متفان، كنت أدرك عدم حاجتي للنطق بالكلام متى كان
الشيطان على مسافة قريبة.

كشاش الحمام

حين يدخل كنت أردد في ذهني عامدا عبارات بعينها دون النظر إلى وجهه، "من أنت؟"، "من أين أتيت؟"، "تعاور معي"، لكنه لم يجب لا بالقول ولا بالأفكار كأنه إنسانا عاديا.

أسابيع لم أحصها قد مرت على هذا الحال، حتى بدأت أتساءل في نفسي عما إذا كان الاستحواذ الشيطاني قد غادر جسده وعاد سيرته البشرية مرة أخرى!

صباح يوم تال كنت أشعر بوعكة، بجسدي اعتلال يمنحني دوارا وبصرا مشوشا، أحضر صبيح الوجبة الأولى ومعها كوبا معدنيا من الماء، وضعها وشرع في تنظيف المكان.

أخذت الكوب وشربت ما فيه شربة واحدة مستندا إلى الجدار، حاولت وضع الكوب على إطار النافذة فقدرت المسافة بشكل خاطئ بفعل الدوار وتشوش الرؤية، عن دون قصد مني سقط الكوب نحو الأرض وارتطم بثقالة السلاسل وهي كرة معدنية جوفاء ضخمة من حديد فأحدث دويا كبيرًا ذا عمق وطنين.

كشاش الحمام

صرخ صبيح ملقيا خرقة التنظيف من يده، لم تكن صرخته كصرخة رجل، وإنما هي مزيج من سهيف الدب وعواء الذئاب وصهيل الخيل، وخيل إلى لبرهه بأن ظلا أسود قد غشاه.

لم أفهم ما انتابه وأن بدا لي أن الصوت قد آلمه. أصابني الذعر فغطيت وجهي بيدي خشية عقاب ما، لكنه لم يفعل، لم ينطق بشيء وإنما التقط ما كان بيده وأكمل عمله وانصرف. ماذا يعني ذلك؟ يعني أن الشيطان لازال حبيسه لم يغادره، وأن الأصوات العميقة ذات الطنين تؤلمه لسبب ما.

هل أغامر؟ كنت أسمعه ينزل من وقت لآخر ويتحدث إلى الحراس بساحة الدار الخارجية، كانت أصوات الحديث بلغة العرب، تتناهي إلى مسامعي ضعيفة بسبب بعد المسافة لكنها على الأقل كان تشير إلى عدم وجوده على مقربة.

عندها إذن أستطيع التفكير فيما أرغب في الاحتفاظ به لنفسى. من المرهق جدا اتباع نظاما عقليا كهذا لكنني دربت نفسى عليه، كلما سمعته بالساحة الخارجية كنت أعد جزئا من خطتي

كشاش الحمام

وعندما تخفت أصوات الحديث كنت اصرف ذهني إلى أمور أخرى تحسبا لأن يكون قريبا من حجرة المحبس.

كانوا يسمحون لي من وقت لآخر بالنزول من الحجرة إلى بهو الدار الداخلية في وجود حارس آخر غير صبيح بغرض أن يقوم الأخير بتنظيف عميق لها، وكان هناك ذلك الدرع الحديدي المعلق على حائط البهو داخل تجويف ومزيننا بشعار نجم الدين أيوب الذي كنا نراه على راياتهم في المعركة.

بعد أيام واطتني الفرصة، كانت الشمس قد غابت وبدأ ليل ذو قمر مكتمل يطل بضوئه من نافذة الحجرة، فتح الباب ودخل واحدا من الحراس واقتادني إلى الخارج، نزلنا الدرج باتجاه البهو بينما صعد صبيح إلى الغرفة لينظفها، بعد قليل سمع الحارس من يناديه من خارج الدار فبادله الحديث وبعدها قرر الخروج موصدا الباب خلفه بإحكام.

هنا قررت التنفيذ، أنزلت الدرع الثقيل من معقله المجوف على الحائط وصعدت به مسرعا إلى غرفة المحبس، اندفعت بسرعة نحو الثقالة الحديدية دون محاولة النظر إلى صبيح الواقف

كشاش الحمام _____

بالركن الآخر وأنا أردد في ذهني كلمات لا علاقة لها بما أوتيه من فعل كي لا يفطن لما أنا مقبل عليه.

وقبل أن ينتبه لي وبكل ما أوتيت من قوة وبكلتا يداي ضربت الدرع بالثقالة مقرعا إياهما ومحدثا صوتا مدويا ذا طنين عال حاد كأنها أجراس الكنائس، وكررت ذلك مرة ثانية، الثالثة، رابعة، وخامسة.

ثم التفت بسرعة نحو الشيطان لأرى، وكان ما رأيته وسمعته وعانيته جراء فعلتي كفيلا بأن يورق منامي ويمنحني ذكرى كابوسيه ما بقى لي من العمر.

أي حماقة تلك التي أقدمت عليها!

يا رحيم الكون نجني من الهول.

12

كربتوكروم



يحكيها الضابط

طرقت الباب ففتح لي رجل سبعيني نحيف الجسد حاد النظرات
بدت على وجهه علامات التساؤل حين رأني، قدمت نفسي قائلاً:

- المقدم احمد سيف الله من الأمن الوطني، يا تري
المهندس بدر الصواف موجود؟

ضيق عيناه واستمر يتفحصني دون إجابة فأكملت:

كشاش الحمام

- حضرتك الاستاذ نعمان، صح؟
انتظر ثوان أخرى قبل أن يفسح لي الطريق ويشير إلى بالدخول:
- أتفضل، هو نايم هروح أصحيهولك.
استوقفته قبل أن يذهب فقد كنت أرغب في الحديث قليلاً إلى العجوز نفسه:
- قبل ما تصحيه ممكن نتكلم كلمتين سوا؟
عاد يطالعني من جديد وكأن كلماتي إشارة بث يلتقطها متأخرا في كل مرة ثم أوماً برأسه إيجابا وأشار إلى باتجاه الصالون لكنني كنت قد لمحت تكعيبة في التراس الخارجي تحتها مجلس كبير فاستأذنته أن نجلس هناك لأدخن سيجارة فأشار لي بالموافقة.
خرجت إلى التراس. كان وصف (تراس) للمكان وصف غير دقيق، مساحة تناهز المائتي متر مربع تحتوي في جانبها البعيد على حجرات خشبية عملاقة متراسة إلى جوار بعضها لا يقل عددها عن الثمانية ملتصقة بالسور على شكل حرف L.

كشاش الحمام

قدرت أنها عششا لتربية الحمام أو الطيور وإن كانت أنيقة ونظيفة بشكل مستفز، تمتلئ أخشابها بالزخارف، وعلى مسافة بعيدة تتراص أحواض الورود ثم على الجانب الآخر التجميعية الخشبية والتي على الأغلب قد صنعها لهم أحد فناني عصر النهضة تغطيها سيقان اللبلاب من جانبيها بينما يطل الجالس تحتها فوق الكنب الأرابيسك ذو الفرشات الملونة على نهر النيل في مشهد مبهر حقا.

لا يمكن أن تجلس هنا ليلا مع كوب شاي بالنعناع دون أن تحل كل مشاكلك أو أن تصير شاعرا حضرميا، لهذا لم اندهش كثيرا حين لمحت ذلك العود المركون جانبا في جرابه الجلدي. جاء العجوز بالشاي ووضع الصحيفة على طاولة صغيرة ثم جلس ينظر إلى نظرة معناها "تفضل كلي آذان صاغية"، قلت له:

- تعرف المهندس عماد أبو شنب؟

أطرق برأسه إلى الأرض ورد متنهدا في أسي:

- الله يرحمه كان واحد من ولادي، هو ومينا أخوات بدر، ورجلهم عمرها ما انقطعت من هنا.

كشاش الحمام

- ده واضح كمان أنك تعرف أنه اتقتل من كام يوم؟

- لتقتل؟ عماد مات مقتول؟

أشعلت سيجارتي وقلت وأنا أشير إلى العود:

- باين عليه بيت فنانيين، بصراحة المكان هنا يشجع أي حد يبقى شاعر أو موسيقي.

كانت علامات الانزعاج بادية على وجهه بعد ما سمعه مني، أعرف كيف أبدوا مستفزا عندما أريد. هي أحد الألعاب النفسية التي يمارسها كل محقق يجيد عمله، يفقد المستجوب تركيزه فتخرج كلمات وحكايات لم يكن ليدي بها لو كان محتفظا بهدوئه.

كنت استهدف بعض المعلومات الإضافية عن بدر الصواف غير تلك التي جمعتها، لذلك قدرت أن هذا العجوز صيدا ممتازا باعتباره أحد أقرب الأشخاص إليه. لكنه أدرك تجاهلي لإجابة سؤاله في ذكاء وتنهيد قائلا:

كشاش الحمام

- حسب العين التي بتشوف يا بني، واحد يشوفها غرزة ممتازة وغيره يشوفها مكان روحاني ينفع للخلوة والعبادة، وواحد ثالث يمस्क له ناي يعزف عليه، يقولوا "كل امري يري بعين طبعه".
- وواحد رابع يمस्क له عود ويدندن.
- العود شيلته ثقيلة، عاوز حد اتوجع كتير علشان تطلع منه بحاجة تتسمع، المناظر الحلوة مش كفاية.
- مميم شخص اتأسر في الحرب مثلاً؟
- نفس النظرة الصامتة الطويلة من طراز Flat face واضح أنه يستخدمها للتعبير عن كافة أنواع الانفعالات بما فيها الدهشة والفرح والسعادة.
- قمت من مكاني وسرت باتجاه العشش، كانت أبوابها مفتوحة والطير متراص إلى جوار بعضه داخلها دون أن يخرج، إما أنه لا يطير في ذلك التوقيت أو أن برودة الجو تمنعه.

كشاش الحمام

تجولت بنظري داخلها فرأيت أشكالاً غير مألوفة أبداً من الحمام، أحدها نحيف جداً طويل الرقبة والساقين بشكل مبالغ فيه، رأسه مستطيل الشكل ومنقاره أحمر ذو زوائد كأنه منقار الديك الرومي.

وهذا نوع آخر ساقاه مغطيان بريش أبيض طويل جداً يجره خلفه وكأنه إمبراطور يجر عباءته، نوع ثالث ينفش ريش رقبتة بشكل دائري كالتطاووس، ورابع رقبتة كانت كالبالون لدرجة أن وجهه لم يكن ظاهراً منها بينما ينفش ريش ذيله في وقفة مثيرة للإعجاب، مزيج من الخيلاء والتفاخر والشموخ، قلت لنعمان منبهراً بما أراه:

- ده متحف ولا عشة حمام؟ ما تقوليش انك بتحشيههم فريك.

اقترب باتجاهي وهو يقول:

- كل نوع هنا غير الثاني في الفصيلة وغرض التربية، فيه منه للزينة ومنه للكش ومنه للمراسلة.

- كش يعني إيه؟

كشاش الحمام

- يعني حمامي يطير ويرجع ومعه حمام بتاع ناس تانية.

هو تقريبا يقصد السطو على طيور الآخريين، ولكن بعبارة (شيك)، ما الفارق إذن بينه وبين القرداتي الذي يأتيه قرده بمحافظ النقود التي ينتشلها من جيوب المارة، ليس ثمة ما يدعو للتفاخر في ذلك!، تجولت بنظري بعيدا في المنطقة المحيطة وأنا أقول:

- هي دي مش تعتبر سرقة؟ وبعدين ناس تانية فين؟ أنا

مش شايف حواليك بيت فوقه عشة حمام واحدة على امتداد

بصري؟

رد في هدوء:

- حمامي بينجم، ويرجع بكشات من الملك الصالح

ومجرى العيون وأرض يعقوب والسيدة، وعموما هي مش

سرقة، فيه اتفاقات بيني وبين أصحابها ولينا مجلس كل فترة.

- آه، كده بقت قمار يعني؟

كشاش الحمام

لم يُبدِ أيّ قدر من نفاذ الصبر ولا حتى بدا ضائقا أمام محاولاتي المستمرة لإسباغ الطابع الإجرامي على هوايته، وإنما استمر على موجة الثقة:

- لعبة، اللي يكش فيها حمام أكثر يبقى الأمهر، وعموما مفيش حد بيربي حمام في مصر القديمة كلها ما يعرفش نعمان الصواف.

- مميمم، بس أنواع غريبة فعلا، أول مرة أشوفها.

أشار إلى بعض الطيور وبدأ يسمي أنواعها:

- ده أبلق قشر بندق، واللي شاورت عليه إنت اسمه بوكر نفاخ، وده بنسميه رميات عشان بيطير لمسافات بعيدة، وده شقلباظ، وأبو جسم مسحوب هناك ده اسمه صوافة، واللي شبه الطاووس ده بنقول عليه نمساوي، أما أبو ريش طويل في رجليه ده اسمه ثلجي.

قلت له وأنا أشير إلى نوع منها تشعر وكأنه ليس طير حمام، وإنما طائر دخيل على العشة، هو أشبه بالبيغاء لكن ذو رقبة طويلة

كشاش الحمام

ورأس مربع ووجه مليء بقطع جلدية حمراء كوجه الديك الرومي:

- والرفيع أبو رقبة طويلة هناك؟

- ده اسمه إنجليش كاريير يا أحمد بيه، ويشبه كمان الهومر الألماني اللي فوق ده.

لم يكن نعمان هو صاحب العبارة الأخيرة لذا التفت إلى مصدر الصوت، كان بدر الصواف واقفا عند الباب بالمنامة والروب بعينين منتفختين مع شعر مبعثر على جبهته وذقن غير حليق. بدا برغم كل ذلك زير نساء من العيار الثقيل، أكن احتراماً خاصة للرجال الذين يرتدون الروب دي شامبر على حذاء أكسفورد، صدقهم ولا تصدق نفسك، قال بدر:

- قالولي انك بتسأل عني.

- دوختنا يا باشمهندس، موبايك مقفول بقاله ثلاث أيام.

قاطعنا نعمان باعتذار وهو يغادر المكان متعللاً بأنه ذاهب لشراء بعض الاحتياجات وقد وجدها في الغالب فرصته ليستريح

كشاش الحمام

من ذلك الضيف اللزج بينما اقترب بدر باتجاهي وهو يقول في شيء من التهكم:

- قالولي كمان أنك أخذت حصة فيزياء على ايد د. نصير وياروليم.

ما شاء الله، يبدو أنه بمجرد تشغيله لهاتفه المحمول قد خبر كل شيء في الحياة وفق آخر تحديث، يبدو كذلك أن تيمة رجل الأمن الذي اقتحم محراب العلماء كانت مادة للتندر وقتما أبلغوه بالأمر، ليكن، لن أخجل من معاناتي، قلت له:

- كنت فاكِر شغلانتنا الأصعب، لكن بصراحة اللي أتم بتعملوه ده يا أخي لا له رأس ولا ديل، قضيت ساعات بين الكتب والأترنت عشان أجمع شوية معلومات، عذاب بجد. إنما قل لي صحيح، إنت آخر مرة شوفت فيها عماد كان امتي؟

رد وهو مطأطئ الرأس ويداه في جيب الروب:

- من ست أيام في المصنع.

كشاش الحمام

- هل كان في كلامه أو تصرفاته أيّ شيء غير طبيعي لفت نظرك؟

هز رأسه نافيا، ثم رفعها نحوي وسألني وهو يضيق عينيه ويتطلع إلى وجهي في تركيز:

- إنت هنا بصفة غير رسمية، مش حاسس إن ده تحقيق، كان ممكن تستدعيني عندك وتسألني، إنت جيت ليه؟

على حد علمي هي المرة الأولى التي يسأل فيها أحدهم رجل أمن خلال تحقيق قائم عن سبب حضوره، إلا أنني لا أنكر أن قراءته للأمر قد أثارت إعجابي لذا أجبتّه وأنا اتجه نحو السور وأتطلع لمشهد النيل البديع ويدي في جيب الجاكت الجلدي:

- المعلومات التي جمعتها عنك فيها حاجات عجبتني وحاجات تانية أثارت فضولي، حبيت ألقيلها إجابة، مثلا اللي أعرفه أن رجال الأعمال يركبوا يخوت، يلعبوا تنس، يجمعوا تحف، إنما تربية وكش الحمام دي حاجة جديدة.

اتجه هو نحو العشش وجال بنظره داخلها وهو يقول:

كشاش الحمام _____

- لولا الحمام ده كان زماني غرقان في حسابات الطوب والأسمنت.

- ما هو ده تساؤل تاني، ليه ما اشتغلتش في المقاولات زي المرحوم والدك وزى أخوك؟

التفت نحوي وقال بنبرة حملت تهكما من جديد:

- أنا ممكن أقولك، إنما أنت حمل حصص فيزياء تاني؟

أشحت بوجهي للأعلى وضربت قدمي اليمني بالأرض معترضاً، لا غرض الزيارة ولا برودة الجو الغائم هنا يسمحان بحفلات تعذيب جديدة، ولست مستعداً للتدوين وراءه، قلت في استجداء:

- يا ساتر، طيب ما أنت ممكن تقولي مبحش المقاولات وهصدقك عادي.

أدخل رأسه ويده اليمني داخل إحدى العشش وسحب منها حمامة رمادية اللون، شرع يمسح على رأسها برفق وهو يختنصها ثم سألني:

كشاش الحمام

- تعرف ايه ده؟
- حمامة؟
- زاجل، مؤكد سمعت عن استخدامه في المراسلة، بس عمرك سألت نفسك بيوصل إزاي؟
- اكتفيت بهز رأسي نفيا، لن أستطيع أبدا مصارحة رجل مثله بأن الشيء الوحيد الذي يثير اهتمامي في الحمام أن تكون الحشوة مطعمة بالكبد والكلاوي وأن يكون لون التحمير ذهبيا، بينما أكمل هو:
- كنت طالب في إعدادي، سألت نعمان ساعتها إزاي بنسافر بفرد الزاجل للمنصورة ونسيبه هناك ونرجع القاهرة الصبح نلاقيه في العشة، كان يقولي ربنا خلق في رأسه بوصله.
- ثم وضع الحمامة بالداخل مرة أخرى وأشار إليّ باتجاه التكمية لكي نجلس هناك وسار إلى جانبي وهو يكمل كلامه:
- موضوع البوصلة ده أثار اهتمامي وقررت أن ابحت فيه، لحد ما وقع في ايدي كتاب اسمه "علم الأحياء الكمي

كشاش الحمام

"Quantum Biology" يشرح إزاي الكائنات المختلفة تستخدم نظريات فيزيائية متعارف عليها في الحركة والهجرة.

وكان فيه فصل كامل عن طيور التراسل والعصفور الأوروبي، مثلا طائر اسمه "الخرشنة القطبية" يسافر من القطب للقطب وطائر "الرهو" يبطين فوق الهيماليا على ارتفاع ستة كيلومتر من غير ما يتوه.

التجارب أثبتت إن الطيور بتستخدم الحقل المغناطيسي للأرض بطرق مختلفة، وبعضها بيستخدم مفهوم يسمى علميا بالتشابك الكمي Quantum Entanglement.

أعوذ بالله، بدأنا تعاويذ وطلاسم، قلبي غير مرتاح أبدا لما هو قادم، طالما قال كلمة "كمي" فقد انتهى أمري لا محالة، قاطعته من باب التحذير حتى لا يفتك برأسي أكثر:

- قول قول، على فكرة أنا مبقتش أشرب الميه إلا لو كانت كمومية؟

ابتسم رغم ما يعتريه من حزن وأكمل:

كشاش الحمام

- أنا عاذرك، أيّ حد تعرض لفيزياء الكم عاش نفس المعاناة اللي إنت فيها، محدش فهم كل حاجة أو كون فكرة كاملة، حتى اللي أخذوا نوبل، كل واحد منهم ساهم بقدر صغير في حل فزورة كبيرة.

من حقك تحتار لو قلت لك إن الضوء موجه لكن لها خصائص جسيمية وأن المادة جسيم ولها خصائص موجية، وأن احتمال بأن أكون أنا الطابط وأنت المهندس هو احتمال قائم وموجود، نيلزبور قال "إن لم تفاجئك ميكانيكا الكم بعمق فأنت لم تفهمها بعد".

- وإيه بقى التشبك ولا التشابك الكمي ده؟

اعتدل في جلسته وأسند ظهره إلى الكرسي واضعا ساقا فوق الأخرى، طبعا يحق له الآن أن يستمتع بالضحية التي جاءت تنبش في عرينه وتسأله عن الطريقة المحببة له في افتراسها، قال:

- عالم اسمه باولي أوجد مبدأ سماه مبدأ استبعاد باولي Pauli Exclusion Principle قال فيه إن الإلكترونات بتدور حوالين نفسها زي كوكب الأرض كده وده اسمه دوران مغزلي.

كشاش الحمام

ولما يكون إلكترونيين في نواة ذرة واحدة يعني في نفس الفلك وعلشان ما يحصلش بينهم تنافر بسبب المجال المغناطيسي الموجود حوالينا لازم يدورا عكس بعض وإلا يتنافروا وتنهار الذرة، لو كان واحد مع عقارب الساعة يكون الثاني بالضرورة عكسها.

العلاقة دي بينهم اسمها "التشابك الكمي"، وإذا انفصلوا عن بعضهم بطول الكون وعرضه يفضلوا متصلين ببعض ومدركين لحركة وحالة بعض. يمكن النوع ده من التواصل هو الوحيد اللي بينقل معلومات بسرعة تفوق سرعة الضوء بملايين المرات، إنت متخيل؟

هززت رأسي في حماس باعتبار إنني (متخيل جدا) وأنتي قد فهمت العلاقة بين مبدأ الاستاذ باولي والحمام والمشابك الكمية هذه، هل يعاقبني على مجيئي هنا وطرح الاستفسارات؟، لكنه استمر في الضرب:

- لما يسقط الضوء اللي في المكان على عين الطائر يحفز تفاعل في مادة بروتينية موجودة فيها اسمها "الكريبتوكروم"

كشاش الحمام

وينزع الكترون من جزيء جواها وينقله لجزيء تاني جنبه ويكونوا مع بعض علاقة بنقول عليها Radical Pair.

لما الدوران المغزلي بينهم بيكون متعاكس بنسبيه Singlet State ولو في نفس الاتجاه بنسبيه Triplet State، في اللحظة اللي بيتنقل فيها الإلكترون حسب حالة دورانه في الجزيء المجاور بتتكون زي خريطة بتنشط في عين الطائر عن طريق المجال المغناطيسي الضعيف للأرض.

العلماء بيرجحوا إن الطائر غالبا بيشف الاتجاه الصحيح مضىء والاتجاه الخطأ معتم حسب مغزلية دوران الإلكترونات اللي اتوزعت في مادة الكريبتوكروم في عينيه.

أنهيتُ كوب الشاي ووضعت على الصحيفة، وأنا أنظر نحو الطيور الموجودة هناك في العشش وأرفع حاجبي متعجبا:

- سبحان الخالق في خلقه، مين يتوقع أن الكائن الصغير ده جواه الهندسة والعظمة دي كلها.

في حين أكمل بدر وقد شعر تقريبا بأنني أسترحمه بأن يعفو عني، لذا حاول أن يكون مختصرا أكثر:

كشاش الحمام

- بعد ما قرّيت في الموضوع كتير كنت زي اللي نادته النداهة، كتب وأبحاث ونشرات مش عارف عددها، كانت التكعيبة دي شاهد عليها، كنت عضو يؤخذ برأيه في منتديات على الإنترنت وأنا في سن صغيرة جدا.

شاركت في دراسات لمراكز أبحاث خاصة في مصر في أول سنة ليا في الجامعة، وأربع أوراق بحثية في أوكرانيا، لكن طول الوقت كان عندي إصرار إني لازم أجسد أحلامي على أرض الواقع هنا، جوه بلدي.

عظيم، ها قد وصلنا للنقطة التي سوف يحدثني فيها عن أحلامه، إما أنه اطمئن لي، أو أنني أقنعتة بشخصية مدير "الإتش آر" أكثر من شخصية محقق بالأمن الوطني، لكن لا مانع أبدا من أن أستغل الفرصة:

- وإيه هي أحلامك دي؟

- بشكل أساسي تجارب أكبر وأعمق في مجالات الطاقة والحوسبة الكمية لأنها المستقبل. دايمًا كنت شايف إن لينا حق

كشاش الحمام

وعلينا واجب، لينا حق نتفاخر بعلمائنا العرب اللي استقي منهم عصر النهضة بدايته.

جابر بن حيان والخوارزمي والإدريسي والكندي وابن باجة، لكن علينا واجب نسبق دلوقت بلغة عصرنا. أنا اخترت أشارك في الواجب ده، وربنا أكرمني بأفضل مجموعة عمل وبتنسيق ودعم غير محدود من أعلى جهات بالدولة.

رغم إن كان فيه صعوبات تمويلية في البداية وصعوبات سببها نشاط والدي الله يرحمه وأخويا حالياً، لكن في النهاية كسبت ثقة الكل لأنني عرفت أقنعهم بأفكاري وخطتي، وكنا ماشيين كويس قوي لحد ما عماد كسر شهري، راح زي ما بتروح حاجات كتير.

ظل صامتا لثوان وهو ينظر إلى الأرض، قدرت أنه يقاوم البكاء، ثم رفع رأسه وسألني بعينين تلمعان:

- جاوبت تساؤلاتك؟

قدرت أن الزيارة قد أنجزت غرضها إلى حد ما، قلت وأنا أنهض استعدادا للانصراف:

كشاش الحمام

- اتفقنا أنها دردشة مش تحقيق، بس عندي لسه فضول أعرف حاجة أخيرة، ده لو مش هيضايكك تجاوب، ليه عشت هنا مع عمك نعمان ومش في فيلا مصر الجديدة لما والدتك توفت؟ صمت طويلاً كمن تلقى سؤالاً لم يكن مستعداً له، يبدو أن استفساري هذا قد مسّه بشكل كبير، قال بنبرة حزن:
 - لأن نعمان موجة أكثر وجسيم أقل.
- راقت لي الإجابة فابتسمت في البداية، ثم انتبهت إلى أنه بشكل أو بآخر يختبر مقدار فهمي لحواديت الفيزياء التي أنام عليها طيلة الأيام الماضية.
- قررتُ ألا أعلق على عبارته المختصرة حتى لا أبذو حماراً بأذنين وأمنحه فرصة تقييمي، سمعة رجال الأمن على المحك وسط مجتمع العلماء ومن واجبي أن أرحل من هنا عميقاً مثله ومثل عمه عازف العود، صافحته قائلاً:
- منتظر ككرة الصبح في القيادة، بعدها هنروح مشوار صغير سوا.

كشاش الامام

اتجهت نحو الباب فناداني:

- أحمد بيه.

التفت إليه فسألني:

- أنت شاكك أن ليا علاقة بموت عماد؟

وجدته يستحق إجابة صريحة بشكل أو آخر:

- ما اعتقدش أنك قتلته، وإن كان ده لسه احتمال قائم

طبعاً، أما بقى إن لك علاقة بموته فده أكيد، متتأخرش.

أعرف كيف أبدو عميقا عندما أريد.

13

أسطورة سيزيف



يحكيها أستاذ علم النفس

"لا أبغض العالم الذي أعيش فيه، لكن فقط أشعر بالتضامن مع المعذبين به، ليست مهمتي تغييره لأنني لا أملك الفضائل اللازمة لذلك، فقط أَدافع عن بعض القيم التي بدونها لن تصبح الحياة التي نحيها جديرة بالاحترام"

كشاش الحمام

هذه كلمات ألبير كامو الكاتب الفرنسي الجزائري الذي كتب مقاله الشهير "أسطورة سيزيف" واستعرض فيه وجهة نظره في عبثية الحياة، مشتقا أفكاره - مع بعض الاختلافات - من جماعة الفكر الوجودي، "كيرك جارد" و"سارتر" و"كافكا" وغيرهم.

سيزيف البطل الإغريقي الذي عاقبه زيوس بأن يرفع كرة حجرية إلى أعلى قمة جبل، فما أن يصل إليها حتى تتدحرج من جديد ليعود ويرفعها مرة أخرى، ويظل يفعل ذلك إلى الأبد.

أين المنطق أو المغزى من وراء الاستمرار؟

هكذا وجد كامو في خرافة سيزيف نموذجا للحياة، حفنة أقدار عبثية ذات اختيارات غير مفهومة، ترى الأغنياء يزدادون غني والفقراء يزدادون فقرا.

تسحق المعاناة جباه المتمسكون بالفضيلة، بينما ينعم من يطأونها بأقدامهم مطلقين لنزواتهم وشهواتهم العنان. تحصد القنابل أرواح أطفال يلعبون بينما يحتفل قادة الحرب الذين أطلقوها باتصارهم محتسين الخمور.

كشاش الحمام

هناك إذن خياران وحيدان للمواجهة أمام هؤلاء الذين يعانون آلام العبثية، إما الانتحار الإرادي انتقاما منها أو التمرد على كل من يحاول إسباغ منطوية زائفة لما ينافي المنطق الأخلاقي المفهوم، يشمل ذلك السلطة السياسية، والدينية، والقانون، والعرف.

لم أعرف بدر شخصا وجوديا يوما ما. منذ اللحظة التي تزوجت فيها كاريمان وهو بعده طفلا في الخامسة وحتى الآن، لكنني أعرف ما عاناها.

انسحق وسط رحي تناقضات لم يفهمها، كان حماي المرحوم توفيق حريصا على إسباغ طابعا دينيا على كل شيء يتعلق بأنشطته الحياتية والعملية.

حتى في مراسم زفاني على ابنته أصر على أن ينفصل مجلس الرجال عن مجلس النساء، كان علما وسط مجتمع التيار الديني في مصر، ذو هوس بمصطلح الاقتصاد الإسلامي وقواعد الاستثمار الحلال، المضاربة والمراوحة وغيرها.

أدوات عمل انتقلت معه من تجارة الأجهزة الكهربائية إلى تجارة العملة وصولا إلى مجال المقاولات.

كشاش الحمام

لم يقتنع بدر أبداً بإمكانية أو عملية تحقق ذلك في عالم الأعمال، في عصرنا هذا ليس ثمة فرصة لأن تثري وأن تتعاضم ثروتك إلى ذلك الحد المخيف وتظل في الوقت ذاته متسقا مع أحكام الدين والقانون والأخلاق وقواعد الاقتصاد معا، وقدر بأن والده ترسا في ماكينة أموال عابرة للحدود بشكل أو آخر.

عزز قناعاته تلك نفوره من تناقض صفات والده الشخصية نفسها، والده الذي كان يتسلل من سرير أمه المريضة ليلا لينزل إلى الطابق السفلي حيث غرفة الخادمة.

رآه الفتى يفعل ذلك أكثر من مرة مع أكثر من واحدة بعدما انتقلوا لفيلا مصر الجديدة، وفي إحدى المرات لم يهتم حتى بإغلاق الباب بإحكام ليشاهد الفتى فعلة أبيه بأم عينيه.

إنهارت عنده القدوة الأولى فبحث عن الثانية في أخاه الأكبر هشام، مع الأسف كان هشام ظل أبيه، ذراعه اليميني وصندوق أسراره. منذ عامين تقريبا حكي له بدر (كما حكي لي بعدها) عن فعلة الأب الراحل، واندهش من رده.

كشاش الحمام

بدر الأخ الأكبر ذلك بأن والده في الغالب كان يتزوجهن عرفيا، وحتى وأن لم يفعل فقد كان يعف نفسه بسبب مرض الأم وأن الخادمة تعد ملك يمينه، ملك يمينه!، هل قال فعلا ملك يمينه؟

وجد الفتى في دراسة العلوم والفيزياء تحديدا ضالته، يبدو أنها قد أهدته في سن صغيرة صدقا كان يفتقده، اتساقا بين الأفكار والتطبيق، بين المقدمات والنتائج لم يجده في مدعوا الفضيلة.

كما وجد أيضا في نعمان عرابه، كان بالنسبة له الشخص الذي يفكر ويقول ويفعل سائرا على خط واحد دون تناقض برغم ما عاناه هو الآخر في حياته على المستوى الشخصي.

نعمان الجندي الذي أسر في الحرب لسنوات ثلاث عاد بعدها إلى وطنه ليجد الخطيبة والحببية متزوجة وأما لطفلين، نعمان الذي كان إرثه من أبيه صندوقا شخصيا لتمويل ذوي الحاجة من غير القادرين حتى إنتهي به الحال واحدا منهم.

طلب نعمان من أخيه توفيق أن يتعهد بدر بالرعاية في بيت المنيل حتى ينهي دراسته، لم يعارض الأب كثيرا.

كشاش الحمام

كان يعتبر بدر مشروع غير مريح ومخيب للآمال إلى حد ما، لم يرث من طبائعه وأفكاره الكثير مثلما فعل أخاه الأكبر، ناهيك عن نظرة لم يفهمها فيها مسحة من ازدراء كان يرمقه بها الصبي من وقت لآخر.

ليكن إذن، فليتركه لعمه الفاشل، لينعما سويا باللعب مع الحمام ومن ناحيته هو سوف يرعى مطالبهما المادية من الألف إلى الياء، بذلك يكون قد أدي واجب الأب نحو أبنائه كما ينبغي.

الإحباط الأكبر الثاني كان في عدم قدرة بدر على الإنجاب، اختبارا إلهيا استلزم منه الصبر والدعاء وسنوات ثمان من المعاناة أشهد أنه قضاها راضيا صامدا يتنقل بين عيادات الأطباء داخل وخارج مصر.

لكن يبدو في النهاية أن حبال الصبر انفتلت، وأنه قد استسلم، لكل منا نقطة حرجة كالتي يعرفها الكيميائيين، النقطة التي لا يمكن عندها التمييز بين حالتين للمادة بفعل استمرار زيادة الضغط والحرارة.

كشاش الحمام

لم يعد عقله يتقبل الأمر أكثر، بدت له معاناة سيزيف نفسها أهون من فقدانه القدرة على قطف ثمرة ارتباطه بحب عمره وهو ما قاد بالضرورة إلى الإحباط الثالث.

تسمت مع الأسف حياة العاشقين وأصبحت في طريقهما إلى الانفصال. الحب والمال والبنون، مثلت السعادة الذي يفنى الناس أعمارهم سعيا وراءه لم يكتمل، مهما استطال الضلعين الآخرين يبقى الشكل منقوصا. أخيرا جاءت وفاة صديقه المقرب عماد مساء اليوم الذي التقيته فيه كطعنة بمنتصف القلب.

يبدو أن العبثية نفسها قد تخلت عن عبثيتها وصارت الحياة تتبع منطقاً ما، منطق "العكنة" عليه هو دون غيره، وعلاوة على كل ما سبق أخبرتني كاريما عن وجود بعض المشاكل الخاصة بعمله وأبحاثه دون أن أعرف التفاصيل.

مسكين يا بدر، الشاب المقاتل المفعم رأسه بالأحلام وقلبه بالحب يحتاج إلى من يهدئ من روعه وما يربط على قلبه، إن بعضاً من هدوء الأحداث وتطبيعها هنا لن يضر أحدا ولن ينهار

كشاش الحمام

معه الكون. علينا التفكير أنا وكاريمان في عمل شيء ما في هذا الخصوص، هذا واجبنا نحوه.

جاءتني (كوكي) صباح يوم بفكرة، لماذا لا نجتمع كلنا مع بدر وهشام وحتى عمها نعمان في بيت المرحومة أمهم في المنصورة بدلا من بيتنا في المعادي؟

قالت أنها أعدت الخطة لذلك جيدا وقررت أن تتولى بنفسها التنسيق والإعداد اللوجيستي مع الخالات.

سوف تطير رقبة كل داجن يمشي على أربع هناك مع حشو فدانيين من الكرنب وكيلومتر طولي على الأقل من الممبار، سوف توقد نيران الأفران عامًا بلا إنطفاء كشعلة الأولىمب،

فكرة رائعة أيتها الشيطانة، ما زال بإمكانك يا أم حسام أن تلقي ربك بشيء من أفعال الطيبين، أنا الذي ظننت بأن صفحة الحسنات قد نزعت من كتاب حياتك إلى الأبد. فعلا، قد ينقله عناق المكان والأشخاص المتواجدين به إلى منطقة أمان نفسي، يبقى الأمر جديرا بالمحاولة.

كشاش الحمام _____

"عار على البشرية أن ينتحر أحدهم وقد كان في حاجة إلى عناق
طويل"

ألبير كامو

14

ذاكرة انتقائية



يحكيها الضابط

ظهر اليوم التالي في بهو إحدى مستشفيات علاج الحروق
بكورنيش المعادي كنا جالسين أنا وبدر والرائد حسن ومعنا
الحاج خلف القصاص صاحب مزرعة الماشية القريبة من منشأة
مدار.

كشاش الحمام

قدمته إلى بدر وطلبت منه أن يروي له ما حدث بمزرعته كما
حكى لنا في التحقيق، كان الرجل في حال يرثي لها، فقد أملاكه بين
ليلة وضحاها ونعق فوق تجارته طائر الخراب.

قال بصوت واهن وهو مطأطئ الرأس يجول ببصره يمينا ويسارا
كمن يبحث عن شيء سقط منه على الأرض أنه في ذلك اليوم
ترك الغفيرين عند الغروب عائدا لداره بعد أن ناولهما الشهرية
واطمئن على بهائمهم وبدا كل شيء طبيعيا.

ثم صحا فجرا على مكالمة هاتفية من أحد معارفه يبلغه فيها
بأن المزرعة تحترق، طار بسيارته كالمجنون إلى هناك وما أن
وصل حتى شاهد ما يشيب له شعر الولدان، أغلب البهائم قد
اختفت (فص ملح وداب) على حد تعبيره، وما تبقي منهم كان
محترقا متناثرا بالداخل والخارج.

ما أذهله وأذهلنا معه أيضا أن وجد أجزاء من جثث البهائم
ملتحمة بسور المزرعة، أقسم أنه ليس مجنونا ولا يخرف، ثم
أخرج هاتفه المحمول وبدأ في عرض الصور علينا.

كشاش الحمام

أطراف، وأنصاف رؤوس أبقار، وجذوع أشجار، وأسيخ من السياج الحديدي تبرز جميعها في أماكن متفرقة من داخل سور المزرعة الإسمنتي نفسه، متداخلة معه كأنما نبتت من داخله، مشهد لا يمكن أن تصدقه أبدا ما لم تراه.

قال أن بعض الأشخاص في الجهة البحرية أبلغوه بأنهم شاهدوا سحابة خضراء مضيئة مهولة فوق المكان، قال كذلك أنه يعرف الفاعل.

هذه أعمال سفلية وتسخير للجان لا يقوم بها سوي "الكفرة ولاد الكلب" عائلة الطباخ، ليس لديه ذرة شك في ذلك.

لقد سلطوا عليه خدامهم انتقاما منه، هم يعملون في نبش القبور وتجارة "المساخيط"، (يقصد الأثار طبعا)، ينقبون عنها بمساعدة الجان، وهو سبق وأن شهد ضد واحدا منهم أمام المحكمة منذ أعوام ولم ينسوا له ذلك.

ثم هب واقفا متوعدا في حدة وانفعال والزند يتطاير من شذقيه بأنه إن لم تأت له "الحكومة" بحقه من الأنجاس فسوف يتصرف

كشاش الحمام

هو بطريقته الخاصة، هو يعرف جيدا كيف يسترد أمواله، قال له
الرائد حسن في صرامة:

- التهم ما تترميش على الناس كده يا حاج، فيه أدلة لازم
تتقدم للنيابة وأنت سيد العارفين، إن كان لك حق تأخذه
بالقانون، أنت راجل محترم مش حايبين نتعامل معاك على غير
كده، أقعد من فضلك وجاوبني، أنت بتقول أغلب البهايم
اختفت، أنت واثق في الغفر عندك؟

جلس الرجل وقد انقلبت حدته ضعفا من جديد وقال:

- شغالين عندي لهم سنين وأشهد لهم بالأمانة، بس مين
عارف، الكيف مذلة، وأنا مسألتش حد فيهم، هلال مختفي من
وقتها، وشعبان مرمى فوق محروق، وباين له فقد الذاكرة.

- فقد الذاكرة، ده كلام الدكتور؟

- لأ، بس مراته وعياله جم امبارح ومعرفهمش، حتى أما
سألته عن هلال قالي هلال مين! يظهر من اللي شافه انصدم.

كشاش الحمام

كنت أركز على تعبيرات وجه بدر الصواف أثناء حديث الرجل، كان في البداية غير مكترث حتى جاءت لحظة عرض الصور وجاء ذكر السحابة الخضراء والأضواء، لاحظت تحولا في ملامحه إلى القلق والانزعاج وأن حاول مداراتهما، لكنه وبعد عبارة الحاج الأخيرة قام من مكانه وسألني:

- ممكن أشوف الغفير المصاب؟
- إحنا هنا علشان كده، إيه في دماغك قولي؟
- عاوز اسمع روايته للي حصل.
- لأ وأنت الصادق، أنت ربطت بين اللي حصل بالمزرعة وبين موت عماد، أبشرك، الحادثتين حصلوا في نفس الوقت تقريبا.
- أغلق عينيه في إحباط كمن كان يخشى تحقق شكوكه ثم تمتم محدثا نفسه بصوت خفيض جدا "لا يا عماد".
- ظن أن أحدا لم يسمعه، لا يعرف أن عبارة "دبة النملة" قد تم اختراعها لغويا للتعبير عن أحد أبرز مواهبي في السمع.

كشاش الحمام

ناهيك عن براعتي في قراءة حركات الشفاه، هو الآن يستنكر فعلا منسوباً لعماد، يبدو وأتته قد خالف قواعد عمل أو اتفاق ما، عموماً لن انبش في أفكاره وأسأله الآن، كل شيء بأوانه.

توجهنا إلى الغرفة حيث يرقد الغفير، طرق الحاج خلف الباب ودخلنا، كان شعبان في السرير وقد تحول إلى مومياء ملفوفة بالشاش عدا العينان وفتحتي الأنف.

إلى جواره وقفت الممرضة تحقن شيئاً في كيس المحاليل، راح ينقل بصره بيننا من فتحات الشاش ثم خرج صوته ضعيفاً وهو يسأل:

- مين دول يا حاج؟
- البهوات مباحث، عندهم كام سؤال كده.

قال الرائد حسن:

- حمد الله على سلامتكم يا شعبان.
- سلامتني! هي فين سلامتني دي يا بيه؟

كشاش الحمام

- إحنا طبعاً مقدرين حالتك ومش هنتقل عليك بالكلام، لو تقولنا باختصار ايه اللي حصل.
- ولا أعرف، كل اللي فاكراه اني كنت نايم في سريري، فجأة سمعت صوت عالي ولقيت ضو شديد وبعدين حسيت أن جتتي بتتحرق، غمضت عيني ومحستش بنفسي غير هنا.
- وهلال راح فين؟
- هلال تاني يا بيه؟ هلال مين ده؟
- بلاش هلال، طب حربية؟
- حربية مين دي روخره؟
- مراتك، مش جت امبارح هي وعيالك يزوروك؟
- خرج صوته متحشرجا أقرب للبكاء:
- يا بيه أنا صحيح جتتي اتحرقت، بس لسه ما اتجننتش، يا ناس أنا مش متجوز، ولا أعرف الولية المخبولة التي جت امبارح ولا العيال اللي معاها، لو عاوزين تجننوني كمان يبقى

كشاش الحمام

أقتلوني احسن وريحوني، أنا خلاص معدليش لازمة في الدنيا بعد
اللي جralي ده.

ثم أجهدش بالبكاء، دون دموع بالطبع، كان فقط يصدر فحيحا
خفيضا يقطع نياط القلوب، اقبل عليه الحاج خلف مهدئا من
روعه وشرع يمسح على اربطه ذراعه برفق مطالبا إياه بالهدوء.

في تلك اللحظة دخل الطبيب المعالج، وبدأ عليه الضيق لأنه منذ
ساعة طلب مني تأجيل أيّ استجابات باعتبار أن الحالة لا
تسمح في الوقت الحالي، طلب منا الخروج وعنف الممرضة، طبعاً
اضطررنا للمغادرة، وصلنا عند الباب هنا سمعنا شعبان يقول
وسط نحيبه:

- عماد مين ده يا بيه؟ وعمل إيه؟

التفت إليه مستغرباً وأنا انظر للمحيطين:

- بتقول حاجة يا شعبان؟

هنا تدخل الطبيب المعالج محتداً:

كشاش الحمام

- لو سمحت يا فندم، ياريت نأجل أيّ أسئلة دلوقت وأنا هتصل بحضراتكم بمجرد ما تسمح حالته.
- عند بوابة المستشفى شكرت الحاج خلف وطلبت من بدر أن نلتقي بمكتبي صباح اليوم التالي، ما أن غادرا حتى التفتت إلى الرائد حسن وقلت:
- هات لي حربية مرات شعبان النهاردة ضروري، وهلال ده، عاوزه حي أو حتى جئه محروقة.
- الغفير كان مقنع قوي بصراحة، بس واحد منهم كذاب، يا هو يا الحاج بخصوص هلال، يا إما هو فاقد للذاكرة بشكل مؤقت.
- فقدان ذاكرة ايه اللي يخليه ينسي مراته وعياله وزميله ويفتكر صاحب الشغل لوحده!، ثم أتمم لقيتوه مرمى عند سور المزرعة البحري يبقى كان نايم في سريره إزاي؟، فيه حد بيتلاعب بينا في حادثتين المزرعة والمصنع وتحركنا السريع مهم، هستناك في المركز عندي حاجة مهمة اعملها دلوقت.

كشاش الحمام _____

تركته عائدا إلى القيادة للاطلاع على تقارير نتائج تحليل عينات المادة السوداء الذي ورد منذ قليل، كنت استرجع تعبيرات وجه بدر عندما نطق شعبان عبارته الأخيرة عند الباب.

بدا مذهولا، أنا كذلك استغربت عبارة الغفير الذي لم يسمع عن عماد أبو شنب من قبل فكيف نطق باسمه؟، لكنني لا أعتقد أن دهشة بدر كانت لذات السبب، ولما سألتها عما به قال أنه فقط متأثر لحال العامل المسكين.

كلا، لديه سبب آخر وسوف أعرفه.

15

ملاك الجحيم



في احدى البنايات ذات الطابع المعماري القوطي بالعاصمة الإيطالية روما، كان ذلك الشاب المرتدي بذلة وربطة عنق يسير بخطوات سريعة متوترة في طرقة طويلة وهو يطالع هاتفه المحمول حتى توقف أمام أحد الأبواب.

طرقة ثم فتحه ودلف إلى الداخل، كانت حجرة واسعة فخمة التأثيث ذات نمط فيكتوري يتوسطها مكتب كبير يجلس إليه

كشاش الحمام

رجل أشيب في عقده السادس يطالع شاشة الحاسوب، قال للشاب القادم دون أن يرفع عينيه نحوه:

- أهلا فابيو.

- سيدي، امر هام يجب وأن تطلع عليه.

- قل لي.

- 227

رفع الرجل عينيه عن الشاشة بسرعة وتطلع إلى الشاب باهتمام وجدية قبل أن يكمل الأخير:

- تم رصده في مصر مرة أخرى.

- معلومات مؤكدة؟

- مصادرتنا تؤكد ورود عينة مرسله من السلطات المصرية إلى أحد معامل باريس بغرض تحليلها، ثبت أنها تحتوي على بصمته البروتينية، أخصائي المعمل هناك من رجالنا وقد شك

كشاش الحمام

في طبيعة المادة فور استلامها، حين طابق العينة بجدول الشفريات بقاعدة بياناتنا تبين أنها تخص 227.

ظل الرجل الأشيب يطالعه لثوان ثم قام من كرسيه وتمشي إلى نافذة المكتب ووقف أمامها وهو يتطلع إلى الخارج في شرود ثم قال كمن يحدث نفسه:

- بعد كل هذه القرون، لماذا يعود إلى أرض المعركة الأولى يا تري؟ طاردناه للمرة الأخيرة في أوروبا الشرقية منذ ثلاثة عقود وأختفي أثره بعدها.

بقي مستغرقا في التفكير لدقيقة ثم عاد إلى مكتبه ليسجل شيئا ما على جهاز الحاسوب وهو ينظر إلى ساعته وقال للشاب:

- ابغ رجالنا في مصر فورا، وفر لهم كل الدعم المطلوب لجمع كافة المعلومات الممكنة حول الحلة التي يرتديها، يجب وأن نعرف لماذا يعلن عن وجوده الآن بعد اختفاء طويل، لا بد وأن هناك هدفا ما يسعى ورائه.

- أمرك سيدي.

كشاش الحمام

هم بالانصراف لكن الرجل الأشيب استوقفه مناديا:

- فابيو، التحرك يكون بهدوء وحذر تامين، نعلم جميعنا نتيجة المواجهات المباشرة معه، لا أحد يرغب في ذلك.

بعد أن خرج الشاب قام الرجل الأشيب وتوجه إلى المكتبة التي تغطي جدارا كاملا من الأرض حتى سقف الحجرة الذي يناهز الأمتار الستة.

حرك أحد الأرفف ليظهر من ورائه لوحة عليها بعض الأزرار، ضغط فيها على عدة أرقام فانفتح جزء من الجدار مع صافرة معدنية قصيرة، وظهرت به مجموعة ضخمة من الأدراج.

جال ببصره بينها حتى استقر عند واحد منها كتب عليه " كود 227- ملاك الجحيم " فتحه وطالع محتواه. كان يحوي مجموعة من الأوراق والمخطوطات الجلدية مهترئة الأطراف متداعية الحالة وضع مشبك بلاستيكي مرقم يحمل عبارات تعريفية بمحتوي كل منها.

أمسك المخطوطة الأولى بحرص وعناية وهو يطالع عنوانها المكتوب على المشبك البلاستيكي العريض "رسالة القديس

كشاش الحمام

لويس التاسع إلى الملك نجم الدين أيوب" ثم شرع يقرأ ما بها
باللغة العربية التي صيغت بها:

"بسم الإله النصيح، صاحب الدين الصحيح، عيسى بن مريم
المسيح، أما بعد، فإنه لم يخف عليك ولا على كل ذي عقل ثاقب
ولا ذي ذهن لازب، أنك أمين هذه الملة المحمدية وأنا أمير هذه
الملة النصرانية.

وليس خفي عنك ما فتحنا من بلاد الأندلس والسارا، وأخذنا
النساء والعدارى، وفرقناهم على ملة النصارى، وجعلنا رجالهم
أسارى، ونساءهم عليهم حيارى.

وقد علمت ما نحن فيه من حق الرعية، لما فتحنا بلاد المهديّة،
وعفونا على ثغر الإسكندرية، فلا تلجئ العالم إلى العسف، ولا
تسيمهم بسيماء الخسف، نقتل العباد وندوس البلاد ونطهر
الأرض من الفساد.

فإن قابلتنا بالقتال فقد أوجبت على نفسك ورعيتك النكال،
وأرميتهم في أشد الوبال، يكثر فيهم العويل ولا نرحم عزيز ولا
ذليل ولا تجد إلى نصرتهم من سبيل.

كشاش الحمام

ونحن نشرح لك ما فيه الكفاية وأبذلنا لك غاية النصيحة والهداية، أن تنقل إلى عندنا من عندك من الرهبان، وتحلف لنا بعظائم الإيمان، أن تكون لنا نائبا على ممر الأزمان.

وتعجل لنا بما عندك من مراكب وطرائد وشواني، ولا تكون فيك فترة ولا تواني، لتكون قلوبنا راضية عليك، ولا تسوق البلاء بيدك إليك.

وتكون على نفسك وجيشك قد جنيت، وتعود تقول " ياليت " وتضع الحرب أوزارها وتشعل نارها، ويتعالى شرارها ويقتم فنارها وتأخذ منكم بتارها.

فسيوفنا حداد، ورماحنا مداد، وقلوبنا شداد، ويحكم بيننا وبينكم رب العباد، فإن كانت لك فهديه ألقته بين يديك، وأن كانت لنا فيدنا العليا عليك.

إذا استحق بالإضافة إمارة الملتين وحكم الشريعتين وبيد الله تعالى السعادة وهو الموفق للإدارة، ستسلم إن سلمت غير محارب، فإنك لا ترجو أمورا ترومها.

كشاش الحمام

أتيناك في خلق كرام وعصبة مسيحية لم تخف عنك علومها وها أنا قد أنشدت بيتا مهدداً، مخافة أن لا تلقى النفس ضيمها، ستعلم ليلى أيّ دين قد أتيت وأي غريم للتقاضي غرامها".

وضع الرسالة جانباً ثم أمسك بمخطوطة أخرى كتب على عنوانها التعريفي "رسالة الملك نجم الدين أيوب إلى القديس لويس التاسع" وبدأ يقرأ ما بها:

"بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على القوم الظالمين.

من عند الداريء عن حرم المسلمين والقارئ كتاب رب العالمين، المنزل على خير المرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الأنصار والمهاجرين، صلاة دائمة إلى يوم الدين.

أما بعد فقد وصل كتابك وفهمنا لفظك وخطابك وها أنا قد أتيتك بالخيل والرجال والخزائن والأموال والعساكر والأثقال

كشاش الحمام

والقيود والأغلال ، فإن كانت لك فأنت الساعي، وقد أمنت
الناعي.

وإن كانت عليك فأنت الباغي لحتفك والجادع أنفك بظلفك فإن
رأيت أن لا تقيم بين الفيتين ضغنا، فلذلك من الله علينا وعليكم
مننا.

وإن غير ذلك فقد قال الله تعالى " أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ
فَرَآهُ حَسَنًا " ولما وصل إلينا كتابك أعطيناك جوابك، " مَنْ يَهْدِ
اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا "

وفي كتابك تهددنا بجيوشك وأبطالك وخيلك ورجالك، أو ما تعلم
أن نحن أرباب الحتوف وفضلات السيوف، ما نزلنا على حصن إلا
هدمناه ولا عدم منا فارسا إلا جددناه ولا طغى علينا طاغ إلا
دمرناه.

فلو نظرت إليها المغرور جد قلوبنا وجد حروبنا لرأيت فرسانا
أستتهم لا تمل وسيوفهم لا تكل وقلوبهم لا تذلل ولعضضت على
يدك بسن الندم، ولأخرك تحريك قدم عن قدم.

كشاش الحمام _____

فلا تعجبك العساكر التي بين يديك فهو يوم أوله لنا وآخره عليك
فإذا أتاك كتابي هذا فلتكن منه بالمرصاد، على أول سورة النحل
وآخر سورة ص " أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ " " وَتَتَعَلَّمَنَّ نَبَأَهُ
بَعْدَ حِينٍ "

هنالك تطاول نحوك الأعناق، وتشخص صوبك العيون، ويسوء
بك الويل، وتسوءك الظنون " وَسَيَعْلَمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ
مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ. "

وضع الرجل الأشيب تلك المخطوطة جانبا ثم أمسك بمخطوطة
ثالثة كان عنوانها التعريفي " رسالة القديس لويس التاسع إلى
رينو دي فيشييه قائد فرسان المعبد بفرنسا" وبدأ يقرأ ما بها
باللغة الفرنسية التي كتبت بها:

" اخط لك كتابي في عاشر أيام مايو من العام ألف ومائتان
وخمسون من حلول مشيئة السماء، قد نزلت بعكا كلمة
القديس الملك، صلوا للمسيح شكرا بأن نجا عبده المخلص.

أني لموصيك رينو وموصي من معك من فرسان الهيكل وفقراءه
إلى الصليب هنا ببلاد الشرق بأن ترفعوا سيوفكم عهدا، باذلين

كشاش الحمام

غاليكم ونفيسكم لمطاردة شيطان مارد يسكن أجساد البشر،
قد خلفته ورأى هناك في مصر.

أبحثوا عنم يدعي بالطواشي جمال الدين محسن بن صبيح
المعظمي بمدينة المنصورة أو بين صفوف المماليك، ولكم منه
الحذر، ثم الحذر، ثم الحذر أن اقتربتم منه أو جابهتموه.

ملك الجحيم هذا لخواطركم قارئ ولما في نفوسكم كاشف،
حاوروه واستميلوه، فهو إن جاور صفنا كان سلاحا لا قبل لجيوش
البشر به، ولا منجى لأعداء الصليب منه، ولكم في سعيكم هذا
منا مددا وذهبا وعين الرب راعية"

أنهى الرجل قراءة الرسائل الثلاث ثم أعادها إلى أدرجها واغلق
الجدار، اتجه بعدها إلى صورة مرسومة بالزيت تمثل فارسا من
العصور الوسطي يحمل سيفا ودرعا مرسوما عليه صليب أحمر
ومكتوب تحتها بخط رفيع " هوج دو بايانس"، وقف أمامها وركع
على احدى ركبتيه محنيا رأسه وهو يقول:

- على العهد سيدي.

16

التجربة



يحكيها المهندس

استمر التحقيق في مقر الأمن الوطني لساعات. سألني المقدم سيف الله وسأل مينا كذلك عن أدق تفاصيل العمل بالمنشأة، أدوار الأشخاص، البرامج والخطط المستقبلية. كان ذلك في حضور شخص آخر قدمه لنا على أنه المهندس "إبراهيم".

كشاش الحمام

قدرت أنّه قد جري انتدابه من جهة ما للمعاونة في التحقيق. كان يتدخل من وقت لآخر بأسئلة تتعلق بنواح فنية بحتة، ثم يدون ما نقول على جهاز لابتوب صغير.

أبدى المقدم سيف الله اهتمامها خاصا بطبيعة عمل الخبراء الأجانب وتحديدا ياروليم، سألني عن سبب وجوده ضمن فريق إدارة مشروع على هذه الدرجة من الحساسية فأجبتة:

- ده مش مشروع صغير يا سيادة المقدم، صحيح مصر بتملكه وبتديره لكن ده ملك البشرية كلها من ناحية الأبحاث وفيه خبراء من 12 دولة، ومن غير ياروليم تحديدا المصادم مكانش شاف النور، هو اللي اشرف معايا على التصميم والتنفيذ الرئيسي، كان استاذي في كيبف، وتعبني جدا لحد ما أقنعتة ييجي هنا، هو بيتكلم عربي كويس على فكرة وبيحب مصر جدا.

- بيحبها إزاي يعني؟

- قارئ جيد للتاريخ المصري، عصر الأسر وما قبل الأسر والتاريخ الإسلامي، دايمًا تلاقية متبني للرواية العربية سواء في قضايا معاصرة أو حتى قضايا تاريخية، ابن بلد زي ما بيقولوا.

- مستشرق يعني؟
 - محاولتش أصنفه التصنيف ده لكن ممكن تقول كده.
- بعد انتهاء التحقيق خرجنا أنا ومينا عائدین إلى مقر عملنا، كان يقود السيارة وأنا جالس إلى جواره أفكر في صمت.
- لا يمكنني حتى الآن تكوين صورة واضحة لما قد حدث، وأن كان ترتيب الأفكار ضروريا في ضوء ما بين يدي من معطيات:
- أولا كاميرات المراقبة رصدت عماد يقوم بفعل العديد من الأشياء غير المفهومة، هو ولسبب ما استبق الموعد المحدد لتجربة كنا قد حددنا تاريخا لبدء تنفيذها بعد شهرين.
- كنا نستهدف منها دراسة تأثيرات مجال كهرومغناطيسي قوي على الأجسام في حيز يتم فيه إلغاء الجاذبية الأرضية. نفذ عماد التجربة والمقلق أن الأجهزة سجلت توليد مجال كهرومغناطيسي بمقدار ست أضعاف قياس (لورنتز) عن الخطة الموضوعية وهو ما أدى لخروج تأثيرها عن الحيز المعد لها كمسرح عمليات وامتداده للمزرعة القريبة وما حولها.

كشاش الحمام

للمرة الأولى يقدم عماد على إجراء بهذا الحجم دون التنسيق معنا. لم يفعلها في أمور روتينية مملة، فما بالك بخطوة تمثل منعطفًا هامًا في حياتنا العملية ومستقبل المشروع.

ناهيك عن أنه قد فتح أبواب الشك على مصراعيها، لدى القيادة العسكرية وجهات التحقيق على حد سواء.

فقد أوشك ما قام به على التحول إلى قنبلة كهرومغناطيسية، خاصة مع استخدامه لمولد حراري فائق الأداء، صحيح أنها قنبلة لا تقتل البشر لكنها تولد نبضة كفيلة بإبادة مظاهر الحضارة لأميال محيطة.

من شأنها تعطيل كافة الأجهزة الإلكترونية ودوائر الترانزستور ومحطات الطاقة والرادارات ومنها ما يخص منشآت عسكرية قريبة. كل ذلك يستحيل خردة غير ذات قيمة في كسر الثانية. مما وضع احتمالية التآمر أو بيع أسرار المنشأة إلى جهة ما على الطاولة وبقوة.

لا نحتاج أنا أو مينا إلى نفي الاحتمالية فيما بيننا، نعرف عماد جيدًا، لكننا نحتاج إلى ما هو أكثر من ثقة الأصدقاء والمعرفة

كشاش الحمام

الشخصية للتبرير لجهات التحقيق استحاله أن يكون بائعا لوطنه أو خائنا لأمانة العمل.

علاوة على أنه في وضع كهذا لا يوجد أحدا مستثنى من دائرة الشك بما فيهم أنا ومينا أيضا لحين ثبوت تفسير راجح.

ما أثار حيرتي وجنوني وما لم أذكر عنه شيئا في التحقيق، هو أنني اكتشفت ما لم ترصده الكاميرات لأننا لا نضعها في ذلك المكان. عماد حاول تشغيل المصادم الهيدروني (بدر)، لماذا يفعل ذلك؟ يجب وأن أعرف. فقط أحتاج بعض الوقت.

ثانيا هذا الذي حدث بالمزرعة من اختفاء لأجسام وتداخل لأجسام موجودات أخرى. عند هذه النقطة فاجأني المقدم سيف الله أثناء التحقيق عندما قال بأن ذلك يأتي مشابها جدا لنتائج تجربة فيلادلفيا.

فيلادلفيا؟ الرجل يقوم بواجبه حقا، من الصعب على رجل أمن أن يبحث في هكذا أمور وأن يربط تفاصيلها بتفاصيل الحدث، لكنه فعل وهو ما أثار إعجابي بالفعل.

كشاش الحمام

لمن لا يعلم تجربة فيلادلفيا هي تجربة زعم البعض أن البحرية الأمريكية قد أجرتها في أكتوبر عام 1943 وعرفت إعلامياً وقتها بذلك الاسم والبعض سماها أيضاً مشروع قوس قزح.

استهدفوا من خلالها محاولة إخفاء سفينة حربية تسمى " USS Eldridge" كأسلوب للتعمية في المعركة وذلك عن طريق تسليط مجال كهرومغناطيسي قوي عليها، غير أن الأمريكان أنفسهم نفوا حدوثها أو القيام بها.

على حد هذه المزاعم فقد نتج عن تلك التجربة اختفاء بعض البحارة ممن كانوا على متنها، وموت البعض والتحام أجساد البعض الآخر بجسم السفينة والتي قيل أنها اختفت من مكانها وشوهت لثوان في موقع آخر يبعد أميالاً قبل أن تعود لموقعها. يظهر هنا تشابهاً كبيراً مع ما حدث بالمزرعة في دهشور.

قلت للمقدم سيف الله أنني لا يمكنني في هذا الخصوص القفز إلى أية نتائج، وإلا كنت مخبولاً بيني استنتاجاته على خرافات ومزاعم لا أحداث مؤكدة وموثقة. بالضبط كمن يعزوا ارتفاع سعر حليب الأطفال إلى زيادة إقبال الكائنات الفضائية على تناوله.

كشاش الحمام

ثالثا ذلك الغفير شعبان الذي لا يعرف زوجته ولا أبنائه ولا صديقه المختفي بينما يتذكر صاحب العمل جيدا. هذا الرجل فعل أمرا عجيبا. لقد سمع أفكاره.

كنت أحدث نفسي ساعتها وأنا عند الباب أغادر الغرفة (ذنبه ايه الغفير الغلبان ده يا عماد تعمل فيه كده)، لكن الرجل سمع ما جال بخاطري دون أن انطق به وسألني عنه وكأنني نطقته بصوت عال.

لما أخبرت المقدم سيف الله بذلك في التحقيق، سألتني عن سبب عدم إخباري له في وقتها فبررت له الأمر بأنها طباعي الشخصية، عندما أصادف أمرا يحتاج لتفسير فإنني أفضل البحث عنه بنفسه أولا قبل مشاركة الآخرين.

سألني عن مدى إمكانية تكون نوع من الإدراك فائق الحس لدى شخص تعرض لمجال كهرومغناطيسي، ومدى إمكانية أن يتسبب ذلك في إتلاف مراكز الذاكرة بشكل جزئي؟

قلت له أنني لا أعرف، صحيح أنه يبدو التفسير المنطقي الوحيد لحالته، لكنه لا توجد أبحاث مؤكدة أو حالات مسبوقة على حد

كشاش الحمام _____

علمي أظهرت ذات التأثير خاصة موضوع الإدراك فائق الحس أو القدرة على التخاطر مثلاً.

قطع مينا الصمت وسألني:

- ليه مجيبتش سيرة في التحقيق إن عماد شغل المصادم؟

- الطباط هيعرف هيعرف، بس أنا محتاج أعرف وافهم الأول.

- ومشروعنا؟

- كل شيء زي ما هو مفيش أيّ تغيير.

صمت قليلاً ثم عاد يسألني:

- تفتكر اللي حصل للغفير وزميله هو اللي في دماغه؟

كنت أخشى هذا السؤال. يبدو أنه هو الآخر قد راودته ذات شكوكي، قلت له وأنا أهز رأسي يمينا ويسارا وأضحك في تهكم واستنكار:

كشاش الحمام

- تقصد كون موازي؟ مش عارف، عقلي مش قادر يتقبل الاحتمال ده.

قال وهو ينظر إلى مستغربا:

- إزاي بتستبعده وإحنا كل شغلنا في مشروع معالج الكيوبت قائم على التراكم الكمي؟

قلت له مذكرا إياه بما عايناه في مشروعنا:

- فوتون وإلكترون يا مينا، بنشتغل على مستوى مايكرو، وأنت عارف حساسية الكيوبت. عزل تام ودرجة حرارة ثابتة عند 100 درجة فوق الصفر المطلق.

لو حصل اى اهتزاز في ذرة مجاورة بنفقد حالة التراكم، ولازم نحافظ على ثباتها خلال "زمن التجانس" لحد ما تخلص عملية المعالجة.

حتى المادة المضادة اللي أنتجناها منقدرش نحافظ عليها وقت طويل، وبيكون هدفنا الطاقة الناتجة وبس. لكن إنت هنا بتسألني عن حجم ماكرو، بتكلمني عن كون كامل!

كشاش الحمام

أعتقد ده هيفضل بالنسبة لنا فكرة أو احتمال صعب،
لأننا عمرنا ما هنعرف نحققه أو نثبته بتجارب من النوع ده.

قال وهو ينظر إلى الطريق أمامه كأنما يحدث نفسه بصوت عال:

- تعرف، تقريبا إحنا اتخلقنا عشان نحتار، ولما نحتار
نسأل ونجرب فنحتار أكثر.

بادلت عبارته بالصمت، ما يقوله صحيح، والفكرة نفسها دارت
في رأسي وأنا هنا أناقض نفسي باستنكارها. لماذا أعارض وضع
مثل هكذا احتمال؟

أوليس الخيال هو المحرك الأول للعلم، أوليس هو الذي قال
عنه آينشتاين أنه أهم من المعرفة ومن المنطق، لكننا ننسى
ذلك بعد تأسيس القواعد في مجال ما.

أحيانا نضع المعرفة والمنطق قيودا لخيالنا. تذكرت كلمات
الدكتور عبدالله "نحن نميل لتقريب الأشياء وتبسيطها لنشعر
بقدرتنا على التعامل مع محيطنا والسيطرة عليه لا أكثر".

كشاش الحمام

ثم أن ما نفعله نحن بالأساس غريب هو الآخر بما يكفي. لم يسبقنا إليه أحد لتكون هناك قواعد واضحة يمكن إسناد النتائج إليها. نحن نقص الشريط هنا ونستحضر جنيا لا نعلم عن سيرته الذاتية شيئا، ولا ما يمكن وأن يفعله بنا.

لكن تحت أيّ احتمال فإن جل ما يعنيني الآن وأحرص عليه فعلا هو استمرار العمل دون توقف. نحن على أعتاب أمر جلال عظيم يتجاوز في حجمه موت عماد وموتى أنا والتحقيق الجاري أو حتى تحذيرات الضابط لنا بتوخي الحيطة والحذر لوجود احتمال بأننا مستهدفون من جهة ما.

كلا، ليس في إمكان شيء أو جهة تعطيل هذا المسار ولو كان الثمن أعمارنا جميعا. كل المطلوب منا في الوقت الحالي هو المثابرة. هذا ما علمني إياه نعمان. ما دامت الأهداف واضحة ومحددة ومشروعة فالمثابرة وحدها هي ما يبقى على فرص النجاح.

دائما ما أتذكر حكايته هو لتلهمني قوة عند العثرات وتمنحني حافظ الاستمرار.

كشاش الحمام

كان قائد نعمان في الحرب هو العقيد "مصطفى توفيق" قائد الكتيبة 352 مشاه التابعة للواء 116 عند طريق "العوجة" والذي رفض أمر الانسحاب يوم الخامس من يونيو 1967.

بالرغم من أنه أعطى الأوامر للكتيبة بالانسحاب والتقهقر إلا أنه أصر وقتها على مواصلة القتال بمفرده وإعداد الكمائن لدبابات العدو، رفض نعمان ومعه جندي المراسلة الخاص به أن ينسحبا ويتركاه.

حتى حاصرتهم تلك الدبابات في منطقة "أم قطف"، أطلقت نحوهم قذيفة وانقلبت سيارتهم، استشهد العقيد مصطفى لكنهما نجحا في الفرار والاختباء وسط أحراش من النخيل. ثم تاهوا في الصحراء.

ظلا لأيام يعصران الجريد ويلعقان سائله أو يشربا ماء "الرادياتير" من السيارات المحطمة التي يصادفانها ويصطادا السحالي والغربان ليبقيا أحياء.

كانا يكومان ما يصادفانه في طريقهما من بقايا مسحوقة لجنود دهستهم الدبابات الإسرائيلية ثم يحفران بأيديهما ويدفناه وهما

كشاش الحمام

يتوقعا مصيرا مماثلا في أية لحظة. أثناء سيرهما سمعا من يتأوه وسط الرمال، جندي لا يظهر منه سوي رأسه، لما حاولا إخراجه رفض وقال إن جسده منسحق جراء الدهس حيا.

همس لنعمان في أذنه أن يحفر قليلاً بحرص وأن يخرج ورقة ملفوفة في كيس بلاستيكي من ملابسه المعجونة بلحمه، كانت عقد زواج، حملة الجندي المحتضر أمانة بأن يوصلها لعنوان بعينه وشخص بعينه، قال أن بالعقد صك براءة زوجته من تهمة الزنا، ثم فاضت روحه.

وضع نعمان اللفافة في جيبه، شاعرا بأن الموت الآن لم يعد واحدا من خياراته، وأن هدفه أصبح واضحا. إلا أن الأقدار اختبرت عزمه بشكل أكبر، قضايا تسع وعشرون يوما في التيه.

وفي اليوم الأخير وأثناء اختبائهما بجبل "البنى"، مرت دورية إسرائيلية وحدثت معركة صغيرة استنفذت ما بقى معهما من سلاح ليفر عسكري المراسلة ويقع نعمان في الأسر.

كان العدو قد أوقف عمليات الإعدام العشوائي وقتها لجمع ما يمكن أن يتفاوض به على أسراه، لذا اودعوه سجنا تحت الأرض.

كشاش الحمام

قام نعمان بدفن اللفافة في محبسه بين الجدار والأرضية، وكلما تغيرت الزنزانة كان ينجح في سحب اللفافة وابتلاعها ثم إخراجها مع فضلاته بعد نقله ومن ثم دفنها من جديد.

بقي يفعل ذلك لثلاث أعوام كاملة تلقى فيها كل صنوف الإيذاء النفسي والتنكيل، حتى أفرج عنه في صفقة لتبادل الأسرى في بداية عام 1971، حين عاد سلم الورقة لزوجة الجندي.

كان يقول أن تلك الأمانة أنقذته وأبقتة حيا، أبعدت عنه شبح التفكير في الإنتحار، أشعرته بغرض لوجوده وأعطته الحافز للاستمرار.

كلما صادفت عائقا في حياتي كنت استدعي هذه الحكاية، وكانت تؤدي دورها تماما، لربما الأمر الوحيد الذي عجزت فيه عن العمل هو ما بيني وبين ياسمين.

لكن على أن استحضرها الآن وأن استجمع شتات نفسي التي لم أعد أرها في شيء آخر، لم أعد ألقاها إلا في عملي وتجاربي، أمل أخير، غرض وجودي، واختيار وحيد.

17

مادة طاقة مادة



يحكيها مدير التطوير

حسنا، أعرف أنكم تكرهونني، وأفهم أسبابكم. تجدونني شخصا يحكي عن أشياء لا رأس لها ولا ذيل ويسمى تلامس تنتهي جميعها بحرفي الواو والنون "إلكترون، بروتون، بوزون .."

لكن طالما وصلتكم إلى هنا، فإن ذلك يعني بأنكم قد احتملتوني في السابق بشكل أو آخر، فرصتي هي إذن لأواصل متعة الثثرة.

كشاش الحمام

لست ساديا فحسب، تعرفون متلازمة ستوكهولم؟، عندما تتعاطف الضحية من شدة يأسها مع معذبها، هذا ما أفعله بكم الآن دون مواراه، فقط أنصحكم بقرصين من البنادول، عندها نكون جميعا بخير.

أحكي لكم الآن عما نفعله هنا في مشروع مدار. الأمر بسيط، بسيط جدا. نسعي لتحويل المادة إلى طاقة ثم نعيدها إلى مادة من جديد وبذات الخصائص.

لا تقولوا لي أنكم لم تفهموا أو تستنجوا ذلك من أنفسكم بعد كل ما حكيت لكم في السابق.

ماذا؟ لم تفهموه؟ بماذا استفدتم من إشارتي إلى حوار الانتقال الآتي وعبث ميكانيكا الكم الذي صدعت به رؤوسكم إذن؟ وكيف تطلبون مني الآن أن أغلق فمي؟ قولوا لي ماذا كنتم تنتظرون عندما يجتمع ظموح مجنون مع عبقري بدين وسحلية أبحاث صلعاء؟ ماركة أحذية جديدة؟

كشاش الحمام

ثم أننا لسنا من بدأ كل هذا، لماذا لا تلعنوا بول ديراك وكارل ديفيد إيندرسون ومن اسهموا معهم في اكتشاف مضاد المادة من قبيل الموضوعية؟

نعم، ديراك الفيزيائي البريطاني الذي استطاع أن يصف الجسيمات الأولية وحركة دورانها بمنتهى الدقة في معادلة رياضية دمج فيها النسبية الخاصة مع ميكانيكا الكم واستخدم المصفوفات لحساب احتمالات تلك الحركة.

ديراك الذي افترضت معادلته أن لكل جسيم أولى جسيم مضاد له ومعاكس لشحنته وحالته، الإلكترون السالب الشحنة له مضاد موجب الشحنة والبروتون الموجب له مضاد سالب الشحنة هو الآخر. أطلق العلماء على ما حددته هذه الفرضية اسم المادة المضادة Anti-matter.

مدام ابتسام تسألني، ماذا يحدث اذن يا مينا إن اجتمعنا المادة ومضادها معا؟ الإجابة يا مدام أنهما يفنيان بعضهما البعض، نعم يحدث الفناء المادي للكتلة وتنتج الطاقة وهذا كما تعلمين يطابق معادلة آينشتاين بأن الطاقة تكافئ الكتلة إذا ضربناها في

كشاش الحام

مربع سرعة الضوء $E=mc^2$. نحن في كون متزن، طاقة-مادة، مادة-طاقة.

بعد معادلة ديراك جاء عام 1929 العالم السوفيتي ديميتري سكوب يلتسين ورصد جسيمات لها كتلة الإلكترونات لكن تنحرف في اتجاه معاكس لها أثناء عبور الأشعة الكونية فيما يعرف بحجرة وبلسون الضبابية.

ثم جاء بعده بسنوات قلائل في العام 1932 الأمريكي كارل ديفيد إيندرسون، والذي كان يدرس الأشعة الكونية هو الآخر وأثبت وجود المادة المضادة بالفعل في تفاعلات تلك الأشعة.

الأمر لم يعد مجرد فرضية نظرية إذن، حيث سجل وجود إلكترونات موجبة الشحنة تسير عكس اتجاه الإلكترونات في المجال المغناطيسي وتحمل نفس كتلتها.

هرش في رأسه قليلاً ثم قرر أن يسمى هذا الجسيم بالبوزيترون. أنا شخصياً أعشق نطقها بالفرنسية "بوزيتغو".

كشاش الحمام

من بعده افترض العلماء من خلال بعض الحسابات الدقيقة أن المادة المضادة كانت موجودة عندما حدث الانفجار العظيم بنسبة تعادل نسبة المادة العادية التي تتكون نحن منها.

لكن حدث وقتها زيادة مقدارها واحد في المليار لمصلحة المادة العادية على حساب المادة المضادة أطلقوا على ذلك مصطلح (عدم التماثل البريوني). أخذ بعدها في الاتساع حتى صارت الأخيرة شبه منعدمة في الكون.

ومصطلح "شبه منعدمه" هي حيلة استخدمناها لمداراة جهلنا، أرى أنه يمكن استخدام عبارة أشيك مثل "غير مدركة لنا"، لربما اختبأت المادة المضادة في زاوية ما، بعدا آخر، لا أحد يعلم.

ماذا؟ تقولين في كون موازي؟ كثرت أسئلتك يا مدام ابتسام. لكن دعيني أقل لك أنه نظريا تعد المادة المضادة في حد ذاتها كون موازي. عالم المرآه. ظننت ذلك مفهوما.

المهم أن المرحومة المادة المضادة لا يمكن توليدها إلا في ظروف خاصة جدا والحسابات هنا شديدة التعقيد تتطلب مسرعات

كشاش الحمام

للجسيمات وتفاعلات إشعاعية معينة وتسليط لنبضات ليزيرية. اتركوا لنا هذا الأمر من فضلكم ولا داع للسؤال عن تفاصيله.

جاءت المنظمة الأوروبية للأبحاث النووية CERN وبدأت في العام 1995 ضمن إطار مشروع ألفا ما بدأناه نحن هنا في مدار بعدهم بعقدين كاملين.

تمكنوا من توليد مضاد المادة عن طريق تفاعل لمجموعة من المواد المشعة في مسرع للجسيمات ثم عزلها عن المادة العادية داخل أنبوب به فراغ بشكل يمنع اصطدامها بالمادة حتى لا تنفجر وإبطاؤها عند درجة حرارة الصفر المطلق، أيّ سالب 273 مئوية تحت الصفر.

ثم تقدموا في الأمر أكثر بأن دمجوا بوزيترون موجب مع انتيبروتون سالب (مضاد البروتونات بالمناسبة) وحصلوا على ذرة هيدروجين مضادة، بل واستطاعوا في العام 2011 بالإبقاء عليها لخمس عشرة دقيقة كاملة.

كشاش الحمام

نجحنا هنا في مدار أيضا في إنتاج عدة جرامات من المادة المضادة حتى الآن. بنينا مصادم هيدروني باتفاق مشترك بين مصر وعدة دول.

عبارة عن نفق به أنبوب دائري بطول ثلاثون كيلومترا وعمق مائة متر تحت سطح الأرض، تجري فيها جسيمات في اتجاه معاكس لبعضها بسرعة الضوء ويتم التحكم في مسارها عبر مغناطيسات فائقة الجذب لتصطدم في النهاية عند نقطة بعينها محددة بدقة تامة.

تجلت عبقرية بدر في خفض التكلفة إلى ما يعادل نصف في المئة فقط من التي تكلفوها في CERN، لا داعي لذكر الرقم حتى لا تصابوا بالذهان.

كان الهدف الرئيسي للجهات المسئولة والممولة هو الحصول على الطاقة الكهرومغناطيسية النقية التي يمكن أن تنتج عن صدم المادة والمادة المضادة والتي تشبه أشعة جاما ترددا وقوة ويمكن استخدامها في عدد لا محدود من الأغراض.

كشاش الحما

لكن بدر كانت لديه رؤية تتخطى ذلك. كان لديه تصورا مبنيا على أن صدم المادة بمضادها يخلف طاقة كهرومغناطيسية تحمل طيف أو شفرة الخصائص الجسيمية للمادة الأصلية ومضادها في آن واحد وذلك لفترة وجيزة جدا.

إن تصرفنا بالسرعة الكافية يمكننا استعادة المادة من الطاقة المحتواة بذات الخصائص في وجود جسيمات هيجز (التي تتولد بسبب الإثارة التي تحدث في حقل هيجز، تذكرون الموضوع طبعا). لو تلاحظون الفارق، ما يتفاعل مع حقل هيجز هنا ليست جسيمات مكونة للمادة (فرميونات) وإنما موجات طاقة قادمة لتوها من عالم المادة.

تخيل معي ترتيب الأحداث. توليد مضاد المادة، ثم صدمها بالمادة العادية فتتولد طاقة، ثم احتواء الطاقة، ثم تفاعل بوزونات الطاقة مع جسيمات هيجز في ظروف تحفيز خاصة مبنية على أحداث المقاومة اللازمة لتكوين كتلة المادة من جديد. هذا ملخص الفكرة والشيطان في التفاصيل.

كشاش الحمام

"حلاوتك". سمعتها بالمناسبة، وسمعت التصفيقة، وأعذر من قالها. جنون؟ نعم بالتأكيد، ومن قال أن عاقلا بإمكانه تصديق مثل هذا الكلام الفارغ. ناهيك عن السعي وراء تنفيذه.

لا تظنوا ابدأ أن الأمر خال من العقبات من فضلكم. يكفي شح كمية المادة المضادة، والذي يقلل من فرص إعادة التجربة.

لذا كان البروتوكول الاحترازي ذا أهمية قصوي والحسابات كانت شديدة التعقيد. أحد العقبات الكبرى كانت تركيب المغناطيسات في المسار حسب نوع الجسم الذي يجري فيه أي ما إذا كان من المادة العادية أم من مضادها.

الألغاز المصاحبة لوفاة عماد والتي حكي لي بدر بعضها وفهمت البعض الآخر من خلال التحقيق، كانت من الغرابة بأن تملأ عقولنا بالحيرة.

جمجمة عماد الفارغة، وما حدث للحارس شعبان جعلنا نشعر بأن هناك شيء ما لا نفهمه، شيء مجنون قد حدث ونحتاج لأن نعرف تفاصيله وأبعاده جيدا قبل الشروع في تجربتنا الأولى بعد

كشاش الحمام _____

أسابيع قليلة. الأجواء مشحونة بشكل عام ويملؤها التوتر. خاصة بعد تحذيرات ضابط الأمن.

استشفيت أيضا قدرا من المشاكل الأسرية عند بدر. هو يقيم عند عمه في المنيل هذه الأيام ولا يبيت في بيته بالشيخ زايد، يبدو أن الأمور السيئة لا تأتي فرادى.

لهذا رحبت بشدة عندما عرض على أن أسافر معه إلى المنصورة لقضاء يوم العطلة هناك مع عائلته ومجموعة من الأصدقاء من بينهم أنا وياروليم ونصير. هي فرصة جيدة للهدوء وتصفية الأذهان قليلاً. إلى المنصورة إذن.

18

قارئ الأفكار



يحكيها المهندس

كان يوما مشحونا بالعمل، انتهينا فيه أخيرا من إضافة ستة الآف مغناطيس جديد فائق التوصيل عند مواضع بعينها عبر ثلاثون كيلومتر تمثل طول أنبوب المصادم الدائري.

كنا نهدف من زيادة عددها إلى الوصول إلى درجة أعلى من دقة توجيه البروتون الذي يتحرك عبره ليصطدم مع البروتون

كشاش الحمام

المضاد. كلما تحكمتنا بشكل أفضل في زاوية التصادم كلما حصلنا على خصائص جسيمية أفضل للطاقة الناتجة.

كنت قد تلقيت إتصالا عند الظهيرة من أحد الموردين يطلب مناقشة عرضا فنيا لأنظمة الحريق بالمصنع، ولما كان عماد رحمه الله هو المسؤول عن مثل هذه الأمور اللوجستية قررت مباشرتها بنفسى بصورة مؤقتة لحين اجتماع مجلس الإدارة وتسمية مديرا جديدا للإنتاج.

طلبت من الرجل الحضور إلى المصنع فقال أنه يفضل حضوري أنا بشكل شخصي لعرض بعض المعدات الحديثة التي وصلتهم وأكد أنها سوف تحظى بإعجابي.

خرجت عند الغروب بسيارتي عائدا إلى المنيل على أن أمر عليه أولا في عنوان أعطاني إياه في شارع الجمهورية بوسط البلد.

بعد معاناه صففت سيارتي بأحد الشوارع الجانبية وتمشيت إلى أن وصلت للبناية المطلوبة. لافتة معرض كبيرة مكتوب عليها "الشرق لأنظمة ومعدات الحريق".

كشاش الحمام

عند الباب استقبلني شاب طويل نحيف قدمت له نفسي فابتسم في ود وقال وهو يضافحني ويشير إلى بالتقدم نحو طريقة داخلية بنهاية المعرض:

- أهلا بدر بيه، أنا المهندس عادل كرم اللي كلمت حضرتك الصبح، أتفضل في المكتب جوه، رئيس مجلس إدارة الشركة جه بنفسه النهاردة لما عرف أن سعادتك هتشرفنا.

دلنا إلى مكتب مؤسس بشكل فخم، يجلس إليه رجل ذو بنية رياضية وشعر أشقر يعقده بصفيرة، قدم نفسه بلهجة شامية على أنه "سامر طبوش" رئيس مجلس إدارة "اورينت".

بعد الترحيب والقهوة قال سامر أنهم كانوا على تواصل مع عماد منذ فترة بخصوص رغبة الأخير تغيير نظام مكافحة الحريق بالمصنع وأن الاتصالات قد انقطعت منذ أسبوعين دون أن يعلموا السبب. حاولوا كثيرًا الاتصال به لكن هاتفه لم يكن يجيب ثم اغلقه بعدها لذا اضطروا للتواصل معي بصورة مباشرة.

لما أخبرته بأن عماد توفاه الله، بدا عليه التأثر والانزعاج وقدم تعازيه ومواساته في فقدان شاب "مهزوم" ومهذب مثله وأنه

كشاش الحمام

يشعر الآن بالحرج من الحديث في أمور تتعلق بالعمل. قلت له أن هذا قضاء الله وطالبته بالدخول في التفاصيل.

قال أن شركتهم تنشط من خلال عدة أفرع في بيروت وباريس وجوهانسبرج بالإضافة إلى القاهرة ويسعدهم التسجيل في قائمة موردينا، ثم شرح في عجلة بعض التفاصيل الخاصة بالنظام الجديد.

طلب مني زيارة للمنشأة بغرض عمل مقايسة دقيقة تمكنهم من تقديم عرض السعر المناسب فأخبرته بأن ذلك يتطلب بعض الإجراءات والأوراق ومنها التدقيق الأمني على هويات المعنيين بالزيارة.

صمت قليلاً ثم أكد على أنهم سوف يقومون بذلك ووجه عادل نحو هذا الأمر لكن ما يهمه الآن اطلاعي عملياً على أكثر ما يميز نظامهم وهو سهولة الربط مع الهواتف المحمولة للأشخاص المعنيين وكذلك صوت جرس الإنذار المميز.

كشاش الحمام

ثم طرّقه بإصبعه فأحضر عادل جهازاً صوتياً ذو سماعة صغيرة ووضعه على المكتب ثم وقف خلفي في حين وجه سامر السماعة نحوي وقام بتشغيله.

أطلق الجهاز صافرات حادة بالفعل ذات تردد قوي، ظل يعمل لنصف دقيقة كاملة حتى أصابني الصداغ فأشرت إليه بأن ذلك كاف جداً. أغلق الجهاز وهو يتبادل مع عادل نظرات لم أفهمها. ثم سألتني وهو يبتسم في ود:

- شو رأيك؟

- الصوت قوي فعلاً، لكن زي ما قولتلك المواصفات بالكامل لازم تتراجع من قسم المشتريات وقسم الجودة والسلامة مع بروفایل الشركة وأكد بعدها هرد عليك. أنا هستأذن دلوقت وإحنا على اتصال.

نهضت وأنا أمد يدي بالمصافحة فاستوقفني قائلاً:

- بدر بك، بعده فيه جهاز تاني حابينك تشوفه، نشاط جديد عنا كرمال الفيران والحشرات كنا حكينا المرحوم فيه، بس دقيقة واحدة مو أكثر، ارتاح ارتاح.

كشاش الحمام

جلست مرة أخرى فقام بإحضار جهاز آخر ووضعه على المكتب، بدا لي أنه جهاز فوق صوتي "Ultrasound" موضحة عليه قوة التردد، تعجبت من كونها 100 كيلو هرتز، لا بد وأن الموضحة الآن هي تفجير رؤوس الفئران بدلا من طردها. قام بتشغيله هو الآخر دون أن افهم سببا لذلك، هل سيخرج لي مثلا فأرا في قفص لأرى تأثيره؟

لم يفعل، وإنما كان يوجهه نحوي أنا وهو ينقل نظره ما بيني وبين عادل الواقف إلى جانبي.

أوقف الجهاز ثم قال أنه في حال شراؤنا له لن نرى فئران أو حشرات بالموقع لسنوات كما أنهم سيمنحونا خصما خاصا باعتباره نشاطا جديدا يسعون فيه لشهادة العملاء أكثر من الربح. وعدته بدراسة الأمر على أن يرسل مواصفاته بدورها.

شكرتهما وغادرت المعرض متجها إلى حيث صففت سيارتي على بعد شارعين، كانت فرصة للتمشي في شوارع وسط القاهرة العتيقة ليلا في مثل ذلك الجو الممطر البارد، وهو أمر محبب إلى نفسي لم أقدم عليه منذ زمن طويل.

كشاش الحمام

عدد المارة من حولي كان قليلاً نوعاً، رائحة البن القادمة من مطحنه على مسافة قريبة تختلط برائحة الجو الممطر وتخترق روحي ذاتها.

- والله العظيم يأبن الكلب لأفضحك.

كان هذا ما قاله أحدهم عندما مر إلى جوارى وهو ينظر نحو عيني مباشرة في تركيز. رجلا اربعينيا يلف كوفية حول عنقه ويضع قبعة صوفيه فوق رأسه. استوقفته سائلاً إياه:

- أنت بتكلمني أنا؟

كان قد تجاوزني بخطوة فالتفت إلى وعلى وجهه علامات الاستغراب من سؤالي، قلت له:

- حضرتك كنت بتبصلي دلوقت وقولت حاجة.

حملق في لثانيتين ثم قال:

- أنا كلمتك يا استاذ؟

غريب هذا، هل خيل لي؟ جائز جدا، قلت له معذراً:

كشاش الحمام

- أنا آسف، يظهر اتهيألي انك كنت بتوجه لي الكلام.
- ولا يهملك يا هندسه، كلنا ماشيين بنكلم نفسنا، هو حد بقى دريان بروحه.
- ثم أعطاني ظهره مواصلا طريقه، لكنني سمعته بصوت واضح قوي يضيف:
- ما هي ناقصاك أنت راخر؟
- ما هذه الفظاظه! الناس أصبحوا على قدر كبير من ضيق الصدر لدرجة عدم القدرة على التسامح مع سوء فهم بسيط كهذا!، ظللت أنظر إليه مستغربا وهو يبتعد، هنا مرت امرأة شابة قادمة في مواجهتي من الاتجاه المعاكس للرجل الأول، كانت تنظر لي في عيني مباشرة وهي تقول:
- يخرب بيتك، ده أنت زي القمر.
- ما هذا؟، هل تحرشت هذه المرأة بي لفظيا (عاكستني) لتوها؟، علا حاجي اندهاشا لعبارتها وتلفت حولي متفقدا عليها كانت تخاطب شخصا آخر أو أنها كانت تتحدث في هاتفها المحمول،

كشاش الحمام

كلا، ليس هناك سوانا ولا هاتف في يدها أو حتى سماعة ظاهرة بأذنها، ليس لدي شك في إنني كنت المقصود!

هل يتعاطى الناس شيئاً في هذا الشارع، أم أن أخلاق المجتمع بأسره قد انفرط عقدها وانحلت فجأة!، ولكن مهلاً، أنا لم أرها تحرك شفيتها بالكلام!، نعم سمعتها بوضوح، كنا وجها لوجه تفصلنا مسافة سنتيمترات وفي ضوء ساطع قادم من واجهة أحد المحال، أنا واثق من تعلق نظرتها بي أنها كانت تقصدني أنا، لا يمكن أن تكون هלוسة.

ضربت كفا بكف وواصلت سيرتي، واستمرت معي فعاليات هذا المهرجان الغريب، سمعت عجباً من المارة في الطريق دون يفتح أحدهم فمه، إلى أن فطنت في النهاية إلى حقيقة مفرعة.

أنا أسمع ما يدور بأذهانهم وأقرأ أفكارهم!، هكذا فجأة دون مقدمات صرت امتلك هذه القدرة، أصابني ما أصاب الغفير وكأنه فيروس تنتقل عدواه عن طريق الهواء.

تغلب لدى الشعور بالخوف على حالة الدهشة، ركضت حتى وصلت إلى السيارة، ركبتها وأدرت المحرك بسرعة وانطلقت

كشاش الحمام _____

عائداً إلى البيت، كنت أفكر طوال الطريق فيما يحدث، ثم جال بخاطري شيء.

أمسكت هاتفي واتصلت على المستشفى الراقد بها شعبان وطلبت إيصالني بالطبيب المسؤول عن متابعة حالته لأمر عاجل جداً لا يحتمل التأجيل ويتعلق بحياة المريض، أوصلوني به، ذكرته بنفسني ووجهت له سؤالاً واحداً، وجاءت إجابته كما توقعت.

الظل الطويل



تحكيها السوبرانو

لا أبصر غيرك، ولا أعرف صاحباً سواك، قلبي قطعة من ماس
عليها حفر غائر منك ليس بوسع وخزات صغيرة أن تزيله أو
تشوّهه. حرمان الإنجاب، غضبك، حيرتي ويأسي أحياناً، كلها
خيوط دخان واهية أمام ضوء الشمس، تشويش ضعيف على
موجة كبري.

كشاش الحمام

الحقيقة الوحيدة في حياتي هي أن الزمان مجبر على أن يعيد نفسه كل يوم لأعيش معك مشاعرنا الأولى، هذه معادلة لم يكتبها لك آينشتاين، لن تقرأ عنها في أبحاث الفيزياء.

ناتجها الدائم أنك أقوى من قراراتي، وأنني لا أفهم نفسي تعريفا لست موجودا فيه. حبيبة بدر، زوجة بدر، عشيقة بدر، لا إسمي ولا شكلي ولا عملي قادرين بمفردهم على تعريفي كما أحب وأرضي.

لن تسألني لماذا اعتذرت عن السفر، أو لماذا أقود سيارتي في هذا الوقت من الليل متجهة إلى المنيل، ولن أسألك شيئا بدوري. هو عناق وكفي.

بإمكاننا بعده أن نكمل ما بقى من حياتنا سويا صامتين. لا فارق إن ملأنا الكون ضجيجا ونحن نحكي عن مآسينا، أو تتمنا لبعضنا البعض بكل أشعار الحب، ما كان الكلام يوما لغتنا.

يحق لنا أن نضعف وأن يزورنا ضيف اليأس، لكن من قال بأننا يجب وأن نمح في حياتنا القصيرة كل شيء. كلنا يعيش مأساته الصغيرة، عرضه الأوبرالي الخاص.

كشاش الحمام

هذه "تسو تشوسان" في أوبرا "مدام بترفلاي" تعد ابنها في سعادة لملاقة أبيه للمرة الأولى لتكتشف عند اللقاء بأنه قد نسيهما تماما وتزوج من أخرى. وهذان "ألما فيفا" و"روزينا" في "حلاق أشبيلية" يستعدان للزواج لينغص عليهما الوصي "بارتولو" حبهما طمعا في أموالها.

وهذه غادة الكاميليا "فيوليتا" تعيش مع "ألفريد" قصة الحب الخالدة في أوبرا "لاترافياتا" لتواجه رفض والده لزواجهما وتنتهي منتحرة بين يديه.

شخصيات من خيال أصحابها جسدها فوق المسرح لكنني تعلمت منها أن تتسامح مع حزن صغير، مع ألم قديري أو إحباط سببته لنا علاقات إنسانية لم تأت على المستوى المأمول منها، أن نصاحب خوفنا من شيء ما. تعلمت أن نمزج لحظات السعادة ولحظات الألم في كوب واحد نضعه على شفاهنا راضين عن أننا نختبر طعمه سويا.

كشاش الحمام

اليوم هاتفتني كاريمان، أفجعتني نبأ وفاة عماد، كان أنسانا صادقاً مهذباً، كما أنّه كان يعني لك الكثير. أيّ حزن عشته وحدك يا حبيبي في الأيام القليلة الماضية؟

لم ادر بنفسي إلا وأنا أمام عجلة قيادة السيارة، حسمت المكالمة رغبة مترددة عندي في المجيء. أنت تحتاجني الآن وأنا قادمة. عندما وصلت كان الشارع وكذلك البيت قابعان في الظلام، دفعت الباب وأضأت مصباح المدخل ثم وقفت أتأمله، ابتسمت رغماً عني لحلاوة الذكرى.

فوق هاتان الدرجتان الكبيرتان وقفت أغني للمرة الأولى أمام معجب وحيد كان هو كل جمهوري، كانتا عيناه تلمعان فتنة وانبهاراً، تحمّلان أصدق نظرة إعجاب يمكن للعقل أن يتصورها، أشعر أن كل السنوات التي مرت بنا ساعات لا أكثر فأنا أحيا اللحظة الآن بأدق تفاصيلها.

صعدت إلى أعلى، لا أعرف أن كان بدر قد عاد أم لا، فضلت أن يتفاجأ بحضوري وأن أري تعابير وجهه حين يراني، لكنني بالتأكيد

كشاش الحمام

لم أكن أرغب في أيقاظ عمي نعمان، سوف أطرق الباب ثلاثا فإن لم يفتح سوف أعود إلى السيارة وأبقى هناك حتى يعود.

لم يجب أحدا طرقاتي الخفيفة، استدرت للنزول لكن تذكرت أن عمي دائما ما يترك نسخة من المفتاح داخل نافذة عداد المياه في حال أراد بدر الحضور لسبب طارئ.

وجدتها بالفعل، فكرت أن افتح واجلس في هدوء بالتراس عند التكهيبية، أحب المنظر من هناك. لحسن الحظ لم يكن المزلاج موصدا من الداخل.

تسللت داخله في خفة وأغلقت الباب بحذر شديد تجنباً للإزعاج، كانت هناك ورقة موضوعة فوق السفارة خطت عليها كلمات أربع "الأكل عندك في الثلجة"، إذن لا يوجد أحد هنا.

أعددت لنفسي كوبا من النسكافيه وخرجت إلى التراس، دون تشغيل الإضاءة، هاتفني المحمول يهتز، هذا أبي يتصل، لا بد وأن الشغالة أخبرته بأنني غير موجودة بالمنزل وأنني انصرفت في عجلة.

كشاش الحمام

لا، لن أخبره أنني هنا، لا أرغب في حوارات عقيمة أعرف تماما كيف تبدأ وكيف تنتهي، طمأنته بأني في زيارة لاحدي صديقاتي بالشيخ زايد وأعود بعد قليل.

لطالما أحببت المنظر من هنا، للإنصاف يبدو بدر محقا في معارضته لهشام فالقيمة عند من يذوقها تتجاوز كونها رقما في شيك أو رصيда بالبنك، كم كنت سخيفة حين عرضت عليه فكرة التخلي عن البيت، لا بد وأني قد آلمته كثيرًا.

يا للروعة والجمال، مزيج انعكاس الأضواء على مياه النهر والنسمة الباردة المشبعة برائحة المطر مع رشفات النسكافيه الساخنة كأنها شلالات تنهمر لتغسل طاقتي السلبية.

صوت حركة. في الغالب هي رفرفة تصدر عن الحمام الموجود داخل العشش، نظرت باتجاهها على الجهة المقابلة.

كانت أبوابها جميعا مغلقة في حين تهتز شجرة طويلة تقبع إلى جوارها في الزاوية المظلمة الموجودة بينها وبين الحائط بفعل نسيمات الهواء.

كشاش الحمام

لماذا يضع عمي نعمان شجرة بهذا الارتفاع الكبير فوق سطح
البناية وفي مثل هذا الزاوية الضيقة؟، صوت غريب فعلا، لا يمكن
أن يكون رفرقة لأجنحة الحمام، إنما هو أشبه بطقطقة الحطب
إن أوقدت عليه نار شديدة أو صاعق ذباب قوي يؤدي عمله
بكفاءة.

هل تتقدم الشجرة باتجاهي أم هي رقصة ظل لا أكثر؟ دقت
النظر رغم بعد المسافة وشح الإضاءة لغياب القمر في هذه
الليلة.

يبدو أنني كنت مخطئة منذ البداية، لم تكن هذه شجرة أبدا، هذا
جسم أو للدقة ظل طويل يتحرك بالفعل قادمًا نحوي، أم هو
يطفوا لا أدري حقا، لا يبدو من أبعاده آدميا، لا أميز له أطرافًا، كما
انني لم أر من قبل شخصا يتجاوز طوله الأربعة أمتار.

هذا كيان أسود حالك يحيط به من كافة الاتجاهات شظايا دخان
صغيرة متطايرة وهذه الطقطقة الحادة التي اسمعها تصدر عنه.

كشاش الحمام _____

لم أصرخ، لست من نوع النساء الهستيريات اللاتي يوظفن
الأموات ليشاركوهن حالة الهلع، ترتبط طبقات الصوت العالية
عندي بخشبة المسرح فقط.

أما بروتوكول الفزع الحقيقي الذي اعتمده يتلخص في تسمر
الجسم واتساع العينين والأنين بشفتان مذمومتان، هذا كل ما
استطعت فعله، وكل ما أتذكره قبل أن أفقد الوعي.

20

الظلام



يحكيها استاذ علم النفس

حسنا، الجميع حاضرون هنا في بيت حماتي رحمها الله بالمنصورة. كانت وليمة من شأنها أن تعيد قانون "من أين لك هذا" إلى التطبيق من جديد.

كشاش الحمام

لم يقل أيا من بدر أو هشام الكثير، لم يتعابا أو يشر أيا منهما للخلاف حول بيت المنيل، تعانقا كأخين لم يلتقيا لفترة طويلة وبدا وأن كلاهما حريص على تجاوز الموقف، وقد أعجبنى ذلك. كاريمان هي الأخرى كانت في اوج سعادتها وهي تري شقيقاها يتحدثان بعد أشهر من القطيعة وأن ألمها عدم حضور ياسمين. همست لي بأنها قد هاتفتها منذ يومين ولمست رغبة منها في المجيء لكنها تفاجئت بأخيها يدخل بمفرده مصطحبا نعمان. نبهت عليها وعلى وهشام وزوجته بسرعة ألا يسألاه عنها حرصا منا على أن يمر اليوم كما خططنا له.

جلسنا بعد الغداء في المضيئة الواسعة مع أكواب الشاي وأصناف الحلو كجماعة من الأسود فرغت لتوها من مهاجمة قطيع من الأبقار وخلفتها عظاما وذيولا.

استلقي نعمان على إحدى الأرائك وغط في النوم وهو ما فسرتة بأنه غياب تكتيكي يتجنب به الحديث إلى هشام، فالشقاق بينهما أشبه بالعلاقة بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي بعد أزمة الصواريخ الكوبية، لا حرب لا سلم.

كشاش الحمام

أشعل ياروليم بايب وانشغلا كلا من مينا ود. نصير في تذوق أصناف الحلو، ثم بدأنا نتناول بالحديث أحوال البلاد تارة والعمل تارة أخرى.

حكي بدر موضوع غريب بعض الشيء يخص حادثا وقع عند مصنعهم، قال أن واحدا من المصابين تعرض لمجال كهرومغناطيسي فائق وبدا بعد الحادث وكأنه شخص آخر لا يميز من معارفه إلا واحدا.

لكن أغرب ما قاله أن ذلك المصاب ولفترة وجيزة يمتلك القدرة على قراءة الأفكار كلما تم تسليط جهاز الفحص بالموجات فوق الصوتية Ultrasound عليه، ثم سألني إن كان لدى تفسير لذلك؟

قلت بعد تفكير أن فقدان الذاكرة قد يكون عضوي نتيجة تلف في الخلايا أو تجمع دموي وهو ما أرجحه في الحالة التي يتحدث عنها. أو قد يكون ما نعرفه نحن تحت مسمي "فقدان الذاكرة التفازقي".

كشاش الحمام

هو اضطراب نفسي يفقد معه الشخص القدرة على استدعاء جزء من إدراكه الواعي الروتيني مثل من هو، وأين يذهب، أو من فعل كذا. وعادة ما يرتبط ذلك بحدث سبب صدمة شديدة أو ألم نفسي كبير.

لذا يلجأ العقل إلى التغافل عن استدعائه كأسلوب دفاعي لكنه يبقى مؤثرا في السلوك بشكل أو آخر. وعادة ما يزول ذلك العارض بعد فترة من الزمن تطول أو تقصر حسب تقبل الشخص للحدث المؤلم، لكن لم تسجل حالات بذات التأثير نتيجة حادث أو ألم جسدي بحت.

أما عن مسألة سماع الأفكار من طرف واحد فهي أمر مختلف عن الإدراك فائق الحس بالتخاطر لأن الأخير يفترض تبادلا للأفكار بين شخصين دون استخدام الحواس الخمس وعادة ما يكونا مرتبطين ببعضهما ارتباطا عاطفيا شديدا كالتوأم أو الأم وابنها.

كشاش الحمام

والأمر في النهاية أرض جديدة غير محددة ومثار بحث وتجارب،
والحالة التي لديهم غريبة بالفعل تستحق الدراسة خاصة فيما
يتعلق بالتأثير الغريب للموجات فوق الصوتية.

قال مينا وهو يضحك موجهها كلامه لبدر:

- الكون الموازي يبطلع لنا لسانه يا لورد.

سألته عن مقصده فأوضح أن مجال الطاقة الذي تعرض له هذا
الشخص كان بقراءات عالية جدا وأن ردة فعله بعد الحادث
جعل فكرة مجنونة تساورهم، وهى أنه قد حدث تبادل للأجسام
بين عالمنا وعالم آخر مواز خصوصا وأن زميله وبعض
الموجودات في المكان قد اختفوا تماما ولم يعثر حتى لجثته على
أثر.

تدخل د. نصير موضحا أن موضوع الأكوان الموازية هو أحد
الأفكار التي يحلو لبعض علماء ميكانيكا الكم طرحها لكن تبقى
دون دليل داعم ولم ترق حتى إلى حد النظرية وإنما فقط
احتمالية أخذت مسميات عدة منها "الأكوان المتوازية Parallel
Universes" و "الأكوان المتعددة Multiverse" و "الأكوان

كشاش الحمام

اللانهاية "Infinite Universes" و "الأكوان الفقاعية Bubble Universes" جميعها تقدم تفسير مختلف لنشأة كوننا المعروف وعلاقته بتلك الأكوان.

جاء هشام من خلفنا ممسكا بكوب من العصير، وجلس إلى كرسي بين د. نصير وباروليم، كان قد سمع طرفا من حديثنا وبدا أن لديه ما يعلق به:

- ده كلام الملاحظة، الناس اللي صعبان عليها تقبل فكرة إن ربنا خلقهم وخلق الكون وأنه قادر عليه وعليهم، بيدوروا على أيّ حجة تفسر الوجود تفسير تاني. متزعلوش مني يعني، كل علماء الفيزياء الكبار بتوعكم بيرحبوا بأي فكرة تنكر وجود الله. واحد يقول كائنات هندستنا وسابتنا ومشيت، وواحد يقول عوالم موازية، والتاني يقول دي شوية صدف.

إن شاء الله حتى يطلع الكون كله وهم ونطلع كلنا بنهلوس. أنا شوفت من الكلام ده كتير، أولهم الراجل المشلول اللي كان قاعد على كرسي ده.

كشاش الحمام

بدا لي في كلامه تعميما مجحفا بعض الشيء كما أنه يحمل خلطا من الناحية الدينية حسب فهمي وتحليلي، لذا قلت بأنه من الخطأ أن نربط فكرة وجود عوالم خارجة عن حدود إدراكنا بإنكار وجود الله سبحانه وتعالى.

فالآية الكريمة من سورة الطلاق قد جاء نصها " اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيَتَلَمَّوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا "، كما أنني على العكس تماما من رأيه، أرى أن التسليم بوجود عوالم مختلفة مرتبط بالتسليم بوجود القوة التي أوجدتها وتتحكم بها وقادرة على أن تفصل بينها. أما اعتبارها كفرا وإنكار لوجود الله فهو منطوق مناقض لنفسه.

رد هشام في امتعاض:

- بيناقض نفسه إزاي يعني؟

قلت له أن عليه أن يفسر لنا أين تعيش الملائكة والجان والشياطين والشهداء الأحياء عند ربهم يرزقون في عالمنا المدرك المحسوس؟، وأين تذهب روحه بعد أن يموت؟ بل أن في قوله

كشاش الحمام

أيضا إنكار لوجود جهنم ووجود الجنة اللذان من ضمن قوانينهما الخلود وهو ليس من بين القوانين التي تحكم عالمنا.

قال د. نصير موجهها حديثه إلى هشام وقد آلمه بدوره رأي الأخير في عقيدة مجتمع العلم:

- أنت عممت قوي يا باشمهندس، مش كل علماء الفيزياء الكبار ملحدين وأكد مش كلهم مؤمنين، ده يتعلق بتحليل كل إنسان لمعطيات وجوده وقدر إلمامه بيها، هي دي منحة " الاختيار" اللي ربنا كرمنا بيها، وهي أساس التكليف.

أضفت أنا منوها لواحد من مؤلفاتي عن تطور المعتقد في الفكر الغربي أن هناك حالة استقطاب مستمرة في العالم تلت عصر التنوير في أوروبا بين القرنين السادس عشر والثامن عشر.

في تلك الفترة عقدت لقاءات فكرية وصالونات أدبية ومحافل ماسونية ومقالات وكتب وأفلام، جميعها يغذي بشكل مستمر قولة الإنسان في نموذجين اثنين لا غير، إما نموذج المتنور المتحرر من الدين ومن فكرة وجود الله أو نموذج المؤمن

كشاش الحمام

المتسم فكره بالتبعية ومحدودية إعمال العقل، مع استبعاد وجود نموذج ثالث يمزج بين الاتجاهين.

طرقع هشام هنا بيديه وقد وجدها فرصة للتدليل على رأيه وقال:

- مش بقولك يا دكتور، أوروبا دي مبيجيش من وراها غير الخراب اسمع مني. لا مؤاخذة يا دكتور ياروليم أنا مقصدكش أنت طبعا.

قال البروفيسور ياروليم بلغته الفصحى المضحكة التي يتكلمها وقد نجح في استيعاب مضمون الحديث:

- هذا صحيح، أوروبا مرت بالعصور الوسطي التي سيطرت فيها الكنيسة ووصلت فيها لمرحلة اعتبار مجرد التفكير خروج عن إرادة الله. محاكم التفتيش التي أنشأها البابا جريجوري التاسع لقمع الإبداع اعتبرته ممارسة للسحر وأعدمت الألاف لأتفه الأسباب.

حين دخلوا عصر النهضة ومع اكتشاف الإنسان التليسكوب والميكروسكوب لاحقا رأى العالم من جديد

كشاش الحمام

واتسعت مداركه، ولما جاء من بعده عصر التنوير لشدة قهرهم من أفعال الكنيسة شككوا في أيّ سلطة سياسية أو دينية.

جان جاك روسو في كتاب "العقد الاجتماعي" قال في الافتتاحية: "يولد الإنسان حراً، ولكنه في كل مكان يجبر سلاسل الاستعباد" وهذا للتدليل على سخطه من السلطة بأنواعها. حتى المؤمنين منهم بوجود الله كانوا يرجعون مصدر إيمانهم لقوانين الطبيعة لا للوحي والرسالة ومن الجلي أن ذلك قد استمر في عصر الحداثة.

مال عليه هشام الجالس إلى جواره وهو يقول:

- الله عليك يا خواجه. وحياتك لو ربنا سبحانه وتعالى تجلي بنوره الكريم عليهم في المعمل زي ما تجلت قدرته على جبل سينا هيفضلوا يجادلوا.

هنا تدخل بدر بعد صمت طويل قائلاً:

- أنا اتفق مع هشام.

كشاش الحمام

نظر له هشام وهو يتسم في استحسان وتأثر وقد راق له هذا الدعم غير المتوقع والذي لم يعتده من أخيه، بينما أكمل بدر:

- اتفق جزئياً طبعاً، رغم قناعتني بأن القرآن الكريم كتاب للهداية، ولا يصح أبداً النظر إليه على أنه كتاب يفسر اكتشاف الإنسان للعلوم الحياتية ونظرياته فيها، زي الفيزياء أو الفلسفة مثلا، ورغم أني مش من جمهور احاديث الإعجاز العلمي، لكن الدقة اللغوية في القرآن الكريم تحمل هندسة لا تقل عن هندسة بنية الكون نفسه من ناحية العظمة.

قال د. ياروليم وقد بدا مهتما بتفاصيل هذا الطرح:

- هل من الممكن أن تعطنا بعض الأمثلة يا بدر؟

فكر بدر قليلاً ثم قال:

- مثلا لفظ "تكوير الشمس" ورد مرة في سورة التكوير في الآية الكريمة "إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ" وطبقا للمفسرين من الناحية اللغوية كان دلالة على انضغاطها على نفسها كنجم ونهايتها وده اللي أحنأ بنسبيه أنهيار الجاذبية Gravitational Collapsing.

كشاش الحما

بينما تجد أنه في سورة الزمر استخدم نفس اللفظ "التكوير" مرة ثانية لكن مع تحديد علاقة بين شيئين في الآية الكريمة "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۗ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۗ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ"

الاستخدام هنا كان لوصف تعاقب الليل والنهار، وده له دلالة لغوية دقيقة على دوران الأرض حول نفسها. إحنا بنتكلم في آيات نزلت من أكثر من 1400 سنة فانت يعني من المستحيل وجود جهة تدقق الكلمات دي علميا وقتها.

ودول آيتين من عشرات الآيات اللي تضمنت ألفاظا قاطعة على حقيقة كبرى واضحة تماما لمن يبحث، بس تحتاج مننا قدرا من ربط الأمور ليس إلا.

عاد ياروليم ليسأله:

- أية حقيقة؟
- إن الكون المدرك لنا تم هندسته بقصد أن نتواجد نحن فيه. بصرف النظر عن وجود أكوان ثانية من عدمه،

كشاش الحمام

الكون بتاعنا سخر لنا وجعل لنا جعلاً، ومعتقد أيّ حد
مننا مش هيغير الحقيقة دي. يمكن سألتك يا دكتور
عبدالله من كام يوم عن قدرة العلم على تقديم حقائق
كاملة ومجردة، ده كان سببه اعتقاد بيزيد عندي كل
يوم، إن الإنجاز العلمي بيقود إجمالاً في النهاية لغيبيات.

بيدو أن ما قاله بدر قد استدعي المعنى في ذهن الدكتور نصير
فتلا الأخير آيتين من سورة الإسراء:

"وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا
(106) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا أَنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ
إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا(107)"

عم الجميع الصمت، كل كان يتفكر في الكلمات، ويتدبر المعني.

بعد دقائق نظر هشام إلى ساعته وقال أنّه وقت مناسب للعودة
إلى القاهرة فلديه أعمال مهمة صبيحة اليوم التالي، بينما أشار د.
نصير إلى ياروليم إشارة معناها "هيا بنا؟" فأوماً الأخير برأسه
إيجاباً.

هنا انقطع التيار الكهربائي وعمّ الظلام.

كشاش الحمام

ناديت على كاريمان لتطلب من أحد النسوة اللاتي يساعدن في تنظيف السفرة أن يستدعي أحدهم كهربائيا من الجوار لمحاولة إصلاح العطل.

بحثت عن هاتفي المحمول في جيبتي لإشعال لمبة الكشف لكنني وجدت أن بطاريته قد نفذت في توقيت غير مناسب بالمرة. طلبت من بدر أن يضئ كشف جهازه المحمول لكنه أجاب بأن بطاريته على ما يبدو قد نفذت هي الأخرى بدورها في صدفة غريبة.

وكانت المفاجأة أن هواتف كل من في الدار قد توقفت عن العمل جميعا!، ما هذا؟ هل توجد صدف من هذا النوع؟ هل هي دعاة من أحدهم وسوف يعود التيار الآن ليصرخ Surprise وتنفجر مجموعة من صواريخ أعياد الميلاد.

استغرق الأمر نصف ساعة كاملة حتى جاءنا أحدهم بشمع وعيدان الكبريت. في ضوء الشموع لم أجد حولي سوى د. نصير أين ذهب الباقين؟ أخذت شمعة وتوجهت إلى باب المضيئة.

كشاش الحمام

فتحتة وأطلت على الساحة الخارجية. كان التيار قد انقطع عن البلدة بالكامل على ما يبدو، غرق الكون فجأة في ظلام تام على امتداد البصر لا أرى لمبة واحدة مضيئة.

كان هشام قادما باتجاهي مع زوجته وأبناؤه، قال لي أن حتى سيارته لا تدور ولا يفهم لماذا فهي سيارة فخمة موديل العام ومشتراه حديثا!

عدت معهم مرة أخرى إلى الداخل مستغربا، انطفأت الشمعة في يدي هي الأخرى فصرت أتحسس طريقي إلى المجلس، لكن قبل أن أصل إليه عاد التيار الكهربائي مرة أخرى، وعاد معه كلا من بدر ونعمان وياروليم ومينا إلى حيث كنا نجلس.

كان الأخير تحديدا يبدو في حال غير طبيعية، وجهه وعيناه حمراوان بلون الدم، سألته إن كان على ما يرام؟ فرد بأن لديه حساسية ضد الفستق وقد تناول كمية كبيرة من الكعك المحشو به متناسيا علته فذهب إلى الحمام ليفرغ ما في معدته.

قلت له أن يرتاح قليلاً حتى ابتاع له دواء مضادا للحساسية من صيدلية قريبة. استند على ذراعي ومشينا بضع خطوات نحو

كشاش الحمام

واحدة من الأرائك، ما هذه التجمعات السوداء اللزجة على الأرضية؟، تشبه العسل الأسود وأن كانت حالكة السواد تماما، لم تكن موجودة من قبل! أجلسته وهممت بالخروج للبحث عن صيدلية قريبة.

عندها سمعنا جميعا صراخا مجنونا آتيا من الساحة الخارجية للدار، مجموعة من النسوة يصرخن في هستيريا: "قتيل.. قتيل" هرعنا جميعا في فزع إلى الخارج لنر ما الأمر، كان هناك شخص يرتدي قميص وبنطال ملقى بجوار الحائط الخارجي للمضييفة التي كنا نجلس بها والى جواره مولد كهربائي وجهازين لم أميز كنههما.

كانت رأسه منسحقة تحت حجر كبير يبدو أنه قد سقط فوقه من سطح المضييفة والدماء تغطي الأرض مع فتات رأسه في مشهد بشع لن يمحي من رأسي ما حييت.

21

ريزنك



العام 2008، المكان مدينة بيرديانسك الواقعة بمقاطعة زابوريسكا على شاطئ بحر آزوف بأوكرانيا. كان ذلك الشاب الثلاثيني والذي يرتدي معطفا ويحمل في يده دفترا وجهاز تسجيل صغير يسير بمحاذاة صف من الفيلات الواقعة مباشرة أمام البحر وهو يتفقدتها بعينيه حتى توقف أما إحداها، ظل يطالعها طويلاً ثم فتح الباب الصغير للسور الخارجي وخطا داخلها، صعد بعدها درجات ثلاث وقرع جرس الباب.

كشاش الحمام

بعد ثوان فتح له رجل خمسيني حاد النظرات ذو شعر أصفر خفيف ونظر له متسائلا فقال له الشاب وهو يبتسم في ود:

- مرحبا بروفيسور، اسمي ديمتري ريزنيك الصحفي بمجلة برودفينوتاي فيزيكا الروسية، كنت قد تحدثت إليك هاتفيا بالأمس وقد وعدتني بإجراء مقابلة لصالح المجلة التي أعمل بها وحددت لي هذا الموعد.

صافحه الرجل وهو يشير إليه بالدخول:

- أهلا بك، تفضل.

دخل الشاب وهو يتجول في المكان ويتفحصه بعينه كأنما يعاين منزلا يرغب في شرائه ما أثار استغراب صاحب المكان فأشار له باتجاه منطقة الجلوس.

ابتسم له الصحفي في ود ثم تقدم نحوها. كانت لوحة العشاء الأخير لليوناردو دافينشي معلقة على أحد الجدران محتلة جزئا كبيرا منه. وقف الصحفي ريزنيك أمامها وشرع يتأملها لدقيقة ثم ضحك ضحكة ساخرة وهو يقول:

كشاش الحمام

- أنصحك ألا تستقي إيمانك من مثل هكذا لوحة يا سيدي، لا تشبه حقيقة أحد من الجالسين فيها على الإطلاق.

لم يعلق البروفيسور على مقولته إذ قدر أنه في الغالب واحدا من هؤلاء الشباب المغرورين الحانقين على الوجود، ممن يحلو لهم السخرية من أيّ معتقد ديني.

سأله إن كان يرغب في شيء يشربه فأشار إليه وهو يجلس واضعا دفتره وجهاز التسجيل على الطاولة بالأدعي لذلك. جلس البروفيسور إلى الكرسي المقابل له وهو يقول:

- في الحقيقة لست معتادا على الأحاديث الصحفية، وخاصة من مجلة علمية روسية، لا أخفيك سرا أنني استغربت طلبك بعض الشيء.

قهقه الشاب بصوت عال ثم فتح فمه وهو يحرك لسانه يمينا ويسارا مص بعدها إصبعه السبابة ونقر به على صدره مرتان وهو يقول:

كشاش الحمام

- مضحكون هم بنو البشر، ومثيرين للشفقة بعض الشيء أيضا. أنت اخترت الشخص الخطأ لتخذه يا بروفسيور، فهذه لعبتي أنا، أنت ترقص فرحا الآن، أستطيع أن أقرأ آيات السعادة التي بداخلك حرفا حرفا.
- ثم مال نحوه وهو يسأله في جدية وبصوت خافت حذر كمن يتحدث عن أمر خطير ويخشى أن يسمعه أحد:

- سيدي ما هي فصيلة دمك؟

عقد البروفيسور حاجبيه في استغراب وهو يرد مستفسرا:

- هل لذلك علاقة بموضوع الحوار؟
- صدقني له علاقة كبيرة جدا، ستفهم لاحقا.
- حسنا، B+

هز رزنيك رأسه لأعلى ولأسفل وهو يقول:

- هذا رائع، هذا رائع، قل لي هل مرفأ اليخوت بالمنطقة قريب من هذه الفيلا؟

نظر له البروفيسور غير مستوعب لطريقته الفظة والغريبة في الحديث وأسئلته الأغرَب، لكنه على الرغم من ذلك أجابه:

كشاش الحمام

- نعم، يقع على بعد خطوات خلفها مباشرة، ما علاقة ذلك بموضوع لقائنا؟

صفق الصحفي ريزنيك بيديه في سعادة ومرح مبالغ فيهما وهو يقول:

- عظيم عظيم، لا أخفيك سرا، في سيارتي بالخارج شنطة كبيرة الحجم تحتل مقعدها الخلفي بأكمله وتؤرقني كثيرا، بها أغراض ثقيلة وأرغب في التخلص منها، خطر إلى ذهني أن ألقياها بالمرفأ هنا. مع الأسف الشديد، أسماك البيرانا لا تستوطن البحر الأسود، نفتقد لحظة ممتعة بحق.

لم يفهم البروفيسور عن أيّ شيء يتحدث هذا الصحفي غريب الأطوار، قدر أنّه كان مخطئا حين وافق على لقاء معتوه مثله رغم أن حديثه عبر الهاتف كان رصينا مهذبا ولا غبار عليه.

اعتدل ريزنيك وقال وهو يتنحى وقد تبدلت لهجته وملامحه إلى الجدية التامة بشكل مفاجئ:

- دعنا نبدأ حوارنا إذن حتى لا أضيع الكثير من وقتك ووقتي. سيدي البروفيسور، نحن نعرف أنكم تقومون

كشاش الحمام

حاليا بالجامعة الوطنية في كيف ببعض الأبحاث المتقدمة في مجال الفيزياء الكمومية وهى واحدة من الأمور التي تهتم بها مجلتنا على وجه الخصوص. هل من الممكن أن ...

قاطعته البروفيسور بإشارة من يده وهو يسأله:

- لحظة، ألن تقوم بتسجيل الحوار أو تدوين الأسئلة وإجاباتها بدفترك على الأقل؟

قال له ديميتري مبتسمًا وهو يشيح بيده في عدم اكتراث:

- لا داع لذلك الآن، هي مجرد مقدمة سوف أقوم بصياغتها لاحقًا بأسلوبي، كنت أسألك ما هي طبيعة الأبحاث التي تقومون بإجرائها حاليا وهل يندرج منها شيء ضمن البرنامج الدراسي للجامعة؟

رد البروفيسور:

- تخصصي هو الفيزياء المتقدمة وميكانيكا الكم كما تعلم. جل الأبحاث التي نجريها هناك حاليا تتعلق بالقوي التي تحملها الجسيمات دون الذرية وخصائصها وكيفية التعامل معها.

كشاش الحمام

- أوه، على ذكر خصائص الجسيمات دون الذرية أنت أحد عالمين أوكرانيين اثنين تم انتدابهما للعمل في مشروع المصادم الهيدروني الكبير الذي تنفذه المنظمة الأوروبية للأبحاث النووية، قل لي من فضلك وأريد تفاصيل هنا، ما هو آخر ما توصلتم إليه هناك فيما يخص جسيمات هيجز؟

رفع البروفيسور كفيه في وجه الصحفي ممانعا وهو يرد في اعتراض واستنكار:

- سيد ريزنيك، كيف تتوقع مني وأن أجيبك عن هكذا سؤال؟ ما تسألني عنه يعد من أسرار العمل التي لا أملك التصريح عنها أو الحديث بشأنها للصحافة أو لأية جهة أخرى، يمكنك التواصل في هذا الشأن مع المتحدث الرسمي للمنظمة، واثان.....

قاطعته الصحفي الشاب في صرامة:

- لكنني سأعرف منك أنت.

كشاش الحمام

لم يرق للبروفيسور عودة الصحفي لأسلوبه غير اللائق في الحديث، تراجع في كرسيه واضعا ساقا فوق الأخرى في تحد وهو يقول متهكما وساخرا من الثقة غير المبررة لضيفه:

- وكيف ذلك يا تري؟

هز ريزنيك كتفيه للتعبير عن بساطة الأمر وهو يقول في ثبات وثقة:

- أنت من سيخبرني.

- يبدو أنك لم تستمع إلى كلامي بشكل جيد أيها الشاب، قلت لك أنني لن أنفوه بحرف واحد في هذا الخصوص.

نهض الصحفي من كرسيه واتجه نحو البروفيسور بخطوات ثابتة وعلى وجهه إبتسامة غريبة ومال عليه محدقا في عينيه وهو يقول:

- لست في حاجة لأن تنطق بشيء يا عزيزي، كل ما عليك فعله هو أن تترك لي ماضيك وحاضرك ومستقبلك لأتولى أنا مهمة القيادة بدءا من هذه اللحظة، أتمني فقط ألا تكون ممن يعانون مرض عضال، لا وقت لدي

كشاش الحمام

لأضيعه في إصلاح كل حلة أرتديها، آه، قلت لي أن المرفأ
يقع خلف الفيلا مباشرة أليس كذلك؟

تصلب جسد البروفيسور بشكل مفاجئ وبدأ يرتج بقوة وهو
يلوح بذراعيه كأنما يختنق في حين خرج من جسد الصحفي
ريزنيك في تلك اللحظة ما يشبه الدخان الأسود يتلوى في بطئ
ولزوجة مع صوت طقطقة مرتفع ثم أخذ يزداد كثافة حتى عبأ
الحجرة بأكملها فلم يعد يظهر من معالمها شيء.

أخذ بعدها في الانقشاع تدريجيا وهو يدخل إلى فتحتي أنف وفم
البروفيسور الراقد أرضا حتى اختفى ذلك الدخان تماما.

نهض بعدها البروفيسور من الأرض وهو يطأطئ رقبتة ويبتسم
ثم أغلق عينيه في نشوة وهو يتنفس بعمق كمن يشتم رائحة
عطرة ألقى بعدها نظرة على جسد الصحفي ريزنيك الذي كان
ملقي على الأرض إلى جواره ومن أذنيه يخرج خيط أسود لزج
وهو يقول في حزن مصطنع:

- عذرا يا صديقي، سوف تفتقدك تلك الفتاة الشقراء،
يبدو أنها كانت تحبك بحق.

كشاش الامام _____

ثم شبك أصابع كفيه وفرد ذراعيه عن آخرهما وهو يقطعهما
ويتجه نحو باب الفيلا مضييفا:

- جردان تعسة.

22

جرانيت



في صباح ذلك اليوم بمقر قيادة جهاز الأمن الوطني بالقاهرة دلف رجل خمسيني إلى حجرة واسعه في خطوات جادة مسرعة وجلس إلى مكتب موضوع إلى جانبه علم جمهورية مصر العربية والعلم الأزرق ذو النسر الذهبي والميزان المميزان لشعار قطاع الأمن الوطني.

شرع يطالع البريد الإلكتروني الوارد إلى حاسوبه الخاص. نقر على إحدى الرسائل الواردة بتاريخ اليوم، كان مرسلا من المقدم أحمد

كشاش الحمام

سيف الله وكان الموضوع "تقرير عمليات يومي - مدار - اليوم الثامن" ثم شرع يطالع محتواه والذي جاء به:

" تبين لنا أن الجثة التي عثر عليها في المنصورة تخص المدعو عادل كرم، وهو مهندس يعمل منذ ثمانية أشهر لدي شركة الشرق لتجارة معدات ونظم الحريق، يديرها المدعو سامر طبوش الموظف المتطوع السابق بسفارة فرسان مالطا.

عثرنا إلى جوار جثة عادل على جهاز يقوم بإصدار موجات فوق صوتية عالية التردد بقدرة توليد مائتا كيلوهرتز كما عثرنا على صندوق يزن حوالي أربعمائة كيلوجرام تبين من معاينة الفريق الهندسي أن عملية تصنيعه معقدة للغاية وتحتاج لتقنيات متطورة ومعدات خاصة لا تتوافر إلا لدي منشآت تصنيع ذات إمكانات متقدمة.

الصندوق من الداخل عبارة عن قطعة مفرغة بالحفر من قالب واحد من الجرانيت ليس بها أي نوع من أنواع اللحم له فتحة علوية مثبت عليها جهاز للشفط، والغطاء نفسه يغلق بنظام ضغط خاص بواسطة جهاز آخر يوضع أعلاه.

كشاش الحمام

الصندوق كان مغلفا بطبقة وسطى من الرصاص وطبقة ثالثة من الفولاذ تغلفه من جهة الخارج ومثبت إلى قاعدة ذات ثمان عجلات.

رجح مهندسونا أن الصندوق معد للقيام بشطف واحتواء مادة ما، وقدروا أنها على الأرجح ذات قدرة إشعاعية وهي قابلة للتمدد أو قادرة على إحداث ضغط كبير.

وهو ما يفسره استخدام الجرانيت والرصاص لمنعها من التسرب، وكذلك وجود جهاز الضغط المعاكس المثبت فوق الغطاء.

لم نتوصل بعد لسبب استخدام جهاز الموجات فوق الصوتية عالي التردد، إلا أن التفسير الراجح أن المادة المستهدفة يلزم وأن تتعرض لمثل هذه الموجات لإتمام عملية الاحتواء.

تبين لنا كذلك أن جماعة فرسان مالطا كانوا يقومون بمراقبة وتتبع الأسرة المجتمعة في المنزل المشار إليه هناك ونرجح أن ذلك قد تم عن طريق تتبع سيارة بدر وجاري التأكد من هذه النقطة عن طريق فحص السيارة دون لفت انتباه صاحبها.

كشاش الحمام

بشهادة بعض الشهود بالمنطقة تبين أن ثلاث دراجات نارية يستقلها ستة أشخاص كانت تنتظر في الخارج برفقة سيارة نقل كبيرة "براد" كانت معدة في الغالب لنقل الصندوق، ومن الواضح أن المدعو عادل كان على وشك استخدام جهاز الموجات في البداية على أن تقوم المجموعة المصاحبة له والتي غالبا ما كانت مسلحة بمهاجمة الموجودين داخل المنزل، إلا أنهم لاذوا جميعا بالفرار بعد أن تبين لهم مقتله.

تم كذلك العثور على بقع من ذات المادة البروتينية السوداء التي تم استخراجها من جثة المهندس عماد داخل مضيقة دار المنصورة وهو ما يرجح تورط أحد الموجودين هناك بقتله.

لا زال البحث جاريا عن المدعو سامر طبوش ومن المعلوم لنا أنه يستخدم في إجراء اتصالاته القمر الأوروبي متغير التشفير، والمذكور كان قد غادر مصر في منتصف العام 2011 بعد إغلاق مقر سفارتهم مع من غادروا.

كشاش الحمام

إلا أنه قد عاد منذ سنوات ثلاث وطلب منا تصريحاً بممارسة نشاط شركته متعهداً بعدم محاولة القيام بأية نشاط تطوعي يخص السفارة.

وحيث أن الهاتف المحمول الخاص ببدر الصواف كان محل مراقبة وتتبع فقد اكتشفنا انهم تواصلوا معه وطلبوا لقاؤه. تم رصد وتفريغ كافة تفاصيل اللقاء عن طريق أجهزة التنصت المزروعة داخل المعرض.

عمليات المراقبة الدقيقة مستمرة لمجموعة العمل بالمشروع، كما تم تكليف المهندس/ إبراهيم جاد المولي مدير الفريق الهندسي بدراسة عينة المادة السوداء التي تم العثور عليها داخل المضييفة وخصوصاً فيما يتعلق بتأثير الموجات فوق الصوتية عليها.

نقترح استمرار برامج المشروع في الوقت الحالي دون إحداث أية تغييرات في التفاصيل والمواعيد من شأنها تنبيه أي من الأطراف لعمليات المراقبة والتتبع وذلك لحين الكشف عن تفاصيل أكثر."

كشاش الحمام

أنهى الرجل قراءة التقرير ثم رفع سماعة تليفونه وأجرى اتصالاً.
قال لمحدثه:

- صباح الخير يا سيادة المقدم، لسه مراجع تقريرك حالا، فيه أيّ جديد؟

جاءه صوت المقدم أحمد سيف الله من الطرف الآخر قائلاً:

- صباح الخير يا فندم، كنت هتصل بمعاليك لكنك سبقتني بثواني، لقينا فعلاً جهاز تنصت وتتبع مزروع تحت تابلو عربية بدر الصواف، طابقنا البصمات اللي عليه مع جثة عادل كرم وبصمات الفيش الخاصة بطبوش وباقي أعضاء سفارة فرسان مالطا الموجودة عندنا لكن النتيجة كانت سلبية.

- يعني ما وصلتش لنتيجة؟

- لا وصلت، أنا أصلي فكرت أطابقها مع بصمات نظام الحضور والإنصراف في مدار وفعلاً حصلت نتيجة مطابقة.

- ياروليم مش كده؟ اعتقد إنت شاكك فيه من البداية.

- لا يا فندم، مينا ميخائيل.

23

خارج الصندوق



يحكيها المهندس

في اليوم التالي لزيارة المنصورة التي انتهت نهاية غريبة كنت في قاعة الاجتماعات الكبرى بمدار لمراجعة آخر مراحل التصنيع الخاصة بلاقط الأيونات والدارات فائقة النقل الخاصين بمعالجات الكيوبت.

كشاش الحمام

على الرغم من أهمية الاجتماع إلا أنني كنت فاقدا للتركيز تماما. كان رئيس وحدة إنتاج المعالجات ومدير الجودة يتحدثان ويعرضان نتائج على شاشة العرض وأنا لا أعي حرفا مما يقوله، فقط كنت أكتفي بهز رأسي، إلى أن انتبهت لمينا وهو يناديني:

- بدر إنت سامع؟

أجفلت قائلا:

- هه، بتقول إيه؟

- الراجل ببسألك، نبدأ في إجراءات التراخيص وتسجيل العلامة وإلا ننتظر؟

ظللت أحملق في وجهه وأنا عاجز عن إعطاء إجابة، لكنه كان يفهم ويدرك ما أنا فيه، لذا أعذر للحضور في لباقة وطلب منهم الاجتماع مرة أخرى في وقت قريب لمناقشة نفس الموضوعات واتخاذ ما يلزم بخصوصها من قرارات.

قال بعدها أنه سيتركني لأرتاح وطلب من خديجة أن يعد لي أحدهم كوب من النسكافيه.

كشاش الحمام

كنت بحاجة إلى مغادرة المكان والاختلاء بنفسى بعيدا عن الجميع، اتجهت إلى الجراج وركبت دراجتي النارية لا السيارة وانطلقت بها إلى كورنيش النيل بمنطقة وسط البلد.

جلست هناك أمام صفحة المياه وشرعت افكر في محاولة مني لترتيب الأمور وربطها ببعضها البعض.

كل ما يحدث أمره مريب. جهة ما دفعت عماد نحو القيام بما قام به، وتعمدت بحادث المزرعة خلق نوع من التشويش على القائمين على المشروع وأنا أولهم.

تصوير الأمر على أنه تكرار لتجربة فيلادلفيا يؤكد لي ذلك، لأنه ببساطه لا يوجد شيء اسمه تجربة فيلادلفيا، ما هي إلا فرقة صحفية وقصة طريفة تثير خيال العامة.

أمر كالحديث عن الأطباق الطائرة يعكس شعور جمعي للمجتمع الإنساني بتطوره العلمي ومحاولة إيجاد منافسين خارج الكوكب.

كذلك ما نشر عن مشروع قوس قزح من تفاصيل لن تخذ مختصين مجال عملهم هو حقول الطاقة. وأن بقي الإخراج

كشاش الحمام

المتقن لحادث مزرعة دهشور والذي يفوق أعمال جيمس كاميرون وبيدرو كوستا لغزا محيرا.

وربما كان الإيحاء بمسألة الكون الموازي ملفقة بدورها، والهدف في مزرعة دهشور كان تشتيت الانتباه، ولكن عن أيّ شيء تحديدا؟، قد تكون أجهزة مخابرات قد تدخلت في الأمر لإثباتنا عن المضي قدما.

من الوارد جدا أيضا أن يكون صاحب المزرعة مدفوع من جهة ما لتخريب مسار الأبحاث لكن يبقى ما يخص الحارس نقطة ضعف في منطق المؤامرة، لن يضحى شخص بحياته أو يقبل أن يتعرض للحرق حيا على سبيل التآمر.

ثم لحساب من كان يعمل عادل كرم الذي لقى حتفه إلى جوار المضيفة؟ تعرفت على هوية جثته فور رؤيتها برغم بشاعة المنظر. من الواضح لي الآن أنه وسامر والجهة التي تقف وراءهم قد اتخذوا من حكاية نظام الحريق مدخلا إلى موقع المشروع لا أكثر.

كشاش الحمام

مقتله بهذه الطريقة يعني أن هناك طرف آخر متصارع معه! طرف يعرف أنه متواجد في المكان واستطاع التخلص منه حتى قبل أن يقوم بتشغيل جهاز الموجات لأنه لو كان قد قام بتشغيله لأحدث ذلك تأثير على بشكل أو آخر.

من يكون هذا الطرف وما هي الغاية من وراء ذلك الصراع؟ ثم ما هذا الصندوق الضخم الغريب الذي كان بحوزته؟ لم أتمكن وسط حالة الهرج والمرج من التدقيق في تفاصيله.

إجابات أعرف أن بعضًا منها إن لم يكن جميعها موجود لدى المقدم سيف الله، تهرب من سؤالي اليوم عن هوية عادل وسامر.

قال إنهم ما زالوا يتحققون منها رغم أنني أخبرته بنفسني من يكون، فقط اكتفي بتحذيري تليفونيا أن اتوخي الحذر في تحركاتي، لكنه يعرف، ويعرف أنني أعرف أنه يعرف.

في الغالب هو يضعني في دائرة المشتبه بهم لديه، وأنا على يقين الآن من أنني مراقب من قبله، وربما مراقب من جهات أخرى كذلك.

كشاش الحمام

كان محقا على ما يبدو، المشروع مستهدف، لم يعد لدى شك. مستهدف إلى الحد الذي يجعل من القتل غير الرحيم أمرا مستباحا. سحقت رأس عادل وأفرغت جمجمة عماد ولا أحد يعلم من القادم.

هناك أيضا ذلك الرابط بيني وبين الحارس شعبان، كلانا يقرأ الأفكار لفترة قصيرة حال التعرض لتأثير موجي فوق صوتي، كلانا خضع لمؤثر واحد، مادة أو إشعاع ما يتسبب في تغيير القدرات الإدراكية وتثييره تلك الموجات، والسؤال هو متى وكيف حدث مثل ذلك التأثير لكلينا وهل هناك آخرين قد خضعوا له؟

ليس ثمة تهديد اكبر لسرية المشروع والأبحاث من قدرة أحدهم على قراءة أفكارني وافكار القائمين معي عليه. أمر لم أكن لأصدق له لولا انني قد عايشته واختبرته بنفسني. هذا خطر يستلزم مني التحرك الحذر لفهم ما يحدث.

وقفت عند أحد الأكشاك وطلبت إجراء مكالمة هاتفية تجنبا لاستخدام هاتفي المحمول، اتصلت بصديقي وطبيبي الخاص الدكتور عمرو حلمي.

كشاش الحمام

قلت له أنني أرغب في إجراء بعض الفحوصات الضرورية اليوم وبشكل عاجل فأعطاني موعدا في الخامسة مساء بمستشفاه. أمل أن تجيب نتائج تلك الفحوصات عن بعض تساؤلاتي.

ركبت دراجتي النارية مرة أخرى متجها إلى شارع الجمهورية حيث مقر شركة الشرق، أعرف أنها حماقة، بل ومغامرة بالنفس أن أتواجد هناك الآن، قد يوقعني في بعض المشاكل أيضا فهو فعل يثير الشكوك حولي لدى من يراقب، لكن الفضول كان يقتلني.

ركنت الدراجة بعيدا بالقرب من ميدان الأوبرا وترجلت ثم قطعت المسافة سيرا على الأقدام بين تقاطعات الشوارع والبنىات بغرض التمويه حتى وصلت إلى مكان المعرض. كما توقعت كان المكان مغلقا ولا أحد هناك.

عدت من حيث أتيت، وأثناء سيرتي كنت أتفقد واجهات المحال الزجاجية عامدا لأرى أن كان هناك من يتبعني، حتى توقفت أم معرض لبيع الأجهزة والمعدات الطبية، كان يضع بعضًا منها في

كشاش الامام _____

واجهته، هنا خطرت لي فكرة خارج الصندوق قد تحدث تغييرا
كبيرًا في الأمور إن وفقت في تنفيذها.

والآن لنر.

24



خوذة كولومبو

يحكيها المهندس

خرجت من المستشفى بعد لقائي للمرة الثانية ولليوم التالي على التوالي بصديقي الدكتور عمرو حلمي وقد استحالت شكوكي إلى شبه يقين. مادة سوداء غريبة وجدتها بالأمس عندما قام بفحص قاع أذني.

كشاش الحامض

قام بأخذ عينة منها وتحليلها وجاءت نتيجة التحليل على أنها مركب بروتيني شديد التعقيد تحتوي في بعضها على مجموعة من الأحماض الأمينية المعروفة تتنوع بين البسيط والمعقد وشديد التعقيد.

كان من بينها الهيدروكسي بروتين والأسباراجين والهيستيدين وغيرها لكنها تحتوي كذلك مركبات واحماض لم يتعرفوا على سلسلتها ولم يعرف هو بماذا يسميها؟

قال أن فنيوا المعمل وقفوا عاجزين عن تفسير بعض مركباتها، أما أكثر ما لفت انتباهي فيما قاله هو القدرة العالية للمادة على دعم وتنشيط الخلايا العصبية تحديداً، وهو ما يوفر لي منطقاً مفهوماً لإحداث أثر القدرة على قراءة أو سماع الأفكار.

عندما قام بتعريض المادة للموجات فوق الصوتية كما طلبت منه أمس ذهل من النتيجة، كانت خلايا المادة تتضخم وتنقسم.

سألني كيف ومتى وصلت مثل هذه المادة إلى دماغي فتعللت بأنني قد تعرضت بالخطأ لإشعاع ما أثناء إجراء واحدة من التجارب.

كشاش الحمام

نصحي بضرورة العودة في أقرب وقت لإجراء المزيد من الفحوصات بشكل موسع، فالنفس عالية وعلى أن أتخلص منها فوراً حتى لا تؤذي بشكل أو آخر وظيفه السمع لدي أو تتسبب في خلل بجهازي المناعي.

حان الآن موعد تنفيذ الجزء الثاني من الخطة، عدت إلى مدار لكن لم اتجه إلى مكثبي وإنما إلى أحد مهندسينا الموثوقين بورش الإنتاج والذي ناولته بالأمس خوذة دراجتي النارية الاحتياطية وطالبته بأن يقوم بحشوها بطبقتين داخليتين بسمك 3 سنتيمتر، إحدهما من معجون الرصاص والأخرى من الكوارتز.

خوذة تعزل رأس من يرتديها عن استقبال أية أنواع من الإشعاع أو الموجات، خوذة تحميه من أن يقرأ أحدهم خواطره وأفكاره إذا أراد.

قمت معه بتجربة عملية. أولاً قمت بتشغيل جهاز الموجات فوق الصوتية الصغير الذي ابتعته بالأمس من شركة المعدات الطبية لتحفيز قدرتي على سماع الأفكار وتوجهت معه إلى الكافيتريا لنتناول مشروباً سوياً.

كشاش الحمام

كان ما يفكر فيه مضحكا بعض الشيء، خليط من تمنية النفس بترقية بعد الخدمة التي أداها لي أو توقعاً لمكافأة على أقل تقدير تجعله قادراً على إخراس لسان حماته التي تعايهه باستمرار بعدم قدرته على الإنفاق على ابنتها، مع رغبته الشديدة في إنهاء هذه الجلسة لدخول الحمام والتبول وكذلك رغبته في الانصراف مبكراً لمقابلة أصدقائه ومشاهدة مباراة الأهلي والزمالك على المقهى.

لم أطل عليه، طلبت منه ارتداء الخوذة فوق رأسه ففعل وهو ينظر لي في ريبه وتساؤل عن حالتي العقلية. عندها كررت محاولة قراءة ما يدور بأفكاره فلم أفلح. قد نجح هذا الجزء من الخطة إذن.

استعدت الخوذة منه وأنا أشكره ووعدته بمكافأة كبيرة جزاء لتعاونه السريع مع طلبي، سألته أيضاً أي فريق سيشجع في مباراة اليوم فتردد في إخباري خشية أن أكون من مشجعي الفريق المنافس، قال أنه يشجع اللعبة الحلوة.

كشاش الحمام

أشرت له نحو نهاية الرواق وقلت بأن الحمام هناك إلى اليمين وودعته منصرفا، بينما بقى هو متسمرا في مكانه يطالعي في بلاهة.

يأتي الآن الجزء الثالث والأخير والأهم من خطتي، تقمص شخصية المحقق كولومبو ومقابلة كل من كان معي في دار المرحومة أمي بالمنصورة في تلك الليلة.

بدأت بمجموعة مدار منفردين، مينا ثم دكتور نصير ثم ياروليم على الترتيب، تعمدت معهم إثارة أحداث ذلك اليوم وجاءت النتائج وفقا لتحليلي جميعها سلبية.

تنوعت أفكارهم بين الشعور بالدهشة والأسى لحالي والقلق على مسار العمل والشغف لمعرفة تفاصيل أكثر عن نتائج التحقيق.

لم أجد بدا من مغادرة المكان وزيارة هشام في مكتبه، كان مندهشا بشكل كبير من قدومي وجاءت أفكاره مختلطة بين الشعور بالاستحسان لعودة المياه إلى مجاريها وبين التساؤل الحذر عما يدور بداخلي.

كشاش الحمام

لكنني سعدت لما قراءته برأسه من التفكير في إلغاء مشروعه السياحي بالمنيل تماما حفظا لخاطري رغم أنه لم يصرح بذلك خلال حديثنا المسموع.

انتابني شعور بالذنب نحوه لمناطقته في هذا الأمر وتجاهل التواصل معه شهورا جراء ذلك الخلاف. وحين أثرت معه أحداث ذلك اليوم جاءت أفكاره معبرة عن عدم فهمه للأحداث بقدر كبير وهو ما بدا لي طبيعيا جدا.

خرجت من عنده وانطلقت بدراجتي النارية تجاه المعادي حيث تقطن كاريمان ودكتور عبدالله وهي زيارة كنت أعرف نتيجتها مسبقا لكن أردت أن يطمئن قلبي.

كنت ألوم نفسي بعض الشيء على ما أفعله، الأمر يعد سلاحا ذو حدين، بقدر ما يمنحني نقطة تفوق في كشف بعض الحقائق بقدر ما ينطوي على خطورة كبيرة.

فكرة أن تقرأ أفكار المقربين منك وتعرف ما يدور بخاطرهم نحوك امر مرعب، بل هو أشد رعبا من أفلام هيتشكوك وكريستوفر نولان وكل روايات آر إل ستاين.

كشاش الحمام

وبرغم سعبي إلى كشف غموض اللغز الذي أعيشه حالياً قد أصاب بجرح أو شرخ نفسي يتجاوز الأحداث الحالية ويبقى طويلاً دون دواء.

لكن الله سلم وخرجت من عند كاريمان وزوجها وسعادتي تتجاوز قلقي من عدم الحصول على نتيجة مرضية لما افعل، سعادة من أدرك وتيقن من حب المحيطين له دون زيف أو رياء أو مجاملة.

لكن ما الخطوة التالية الآن؟ حقا لا أدري.

ركنت الدراجة النارية في المساء عند باب ذلك المطعم النيلي الذي جلست فيه أنا والدكتور عبدالله منذ أيام مضت وشرعت أفكر من جديد.

لماذا جاء عادل كرم إلى المنصورة اذن؟ بدأت أتشكك في أنه كان يستهدفني أنا شخصياً، هل من الممكن وأن يكونوا قد أخطأوا التقدير في مسعاهم؟ بل هل من الممكن أن يكون بداخلي ما لا أعرف عنه أو أدر بوجوده؟

كشاش الحمام

رن هاتفني المحمول فطالعته، غريب! هذا رقم تيسير الناجي حماي، لم أكن في حالة ذهنية تسمح لي بمناقشة طلبهم في انفصالي عن ياسمين الآن، رددت عليه فجاءني صوته:

- أزيك يا بدر.

- أهلا يا عمي.

- هي ياسمين معاك؟

ماذا؟ هل يتصل بي ليسألني عن مكانها حقا؟ قلت له انني لم أتواصل معها أو تتحدث سويا منذ أن غادرت منزلنا، فقال أنها مختفية.

قفزت من مكاني وقفز قلبي معي، ما الذي يدور هنا؟ سألته كيف حدث ذلك وما تفاصيله؟ قال أن آخر مرة قد تحدث إليها كان منذ أربعة أيام عندما كانت تزور إحدى صديقاتها عند المساء واختفت بعدها.

كشاش الحمام

لما لم تهاتفه طوال هذه المدة اتصل عليها صباح اليوم فوجد هاتفها مغلق، اتصل على الخادمة فأبلغته بأنها لم تعد إلى البيت منذ ذلك الحين.

لا، إلا ياسمين. لو كان لما أنا فيه علاقة باختفائها فلن أحيأ لحظة واحدة بعدها. طرت كالمجنون لبيتي بالشيخ زايد والأفكار تأكل رأسي.

الخادمة كانت مذعورة بدورها ولا تعرف ماذا تفعل. قمت بالاتصال بجميع من أعرفهم من صديقاتها وزملائها بالعمل دون نتيجة تذكر.

ماذا أفعل؟ جال برأسي أن أتصل بالمقدم سيف الله وكانت المفاجأة. قال أن ياسمين زارتنا في المنيل مساء اليوم الذي أبلغته الآن باختفائها فيه حسب تقرير مجموعة المراقبة، وسيارتها تقبع في الشارع الخلفي، ولما لم تنزل قدروا أنها مقيمة معنا هناك من وقتها!

ما الذي يعنيه هذا؟

كشاش الحمام

أغلقت الخط معه بعد أن وعدني بمتابعة الأمر فوراً، وانطلقت نحو بيت المنيل. وعندما وصلت درت حول البيت لأجد سيارتها بالفعل صافة في الشارع الجانبي، لهذا لم أنتبه لها طوال تلك الفترة.

عدت مرة أخرى باتجاه المدخل وركنت الدراجة النارية وترجلت وقبل أن أخلع خوذتي رأيت نعمان قادماً وبيده صنارة الصيد وصندوق الثلج اللذان إعتاد استخدامهما كلما ذهب للصيد من فوق الكبرى الخشبي.

رآني فنادى قائلاً وهو يبتسم:

- ابن حلال، شوية بلطى على قشر بياض يا واد يا بدر إنما إيه، تحبه مشوي وإلا مقلي؟

أقدمت عليه لأسأله عن ياسمين و.....

ما هذا الطنين العالي؟ يكاد يخرق أذني، كلما اقتربت منه أكثر زاد الطنين في أذني وشعرت بالدوار! لم استوعب الأمر أشرت له قائلاً:

كشاش الحمام

- لحظة نسيت حاجة هرجع أجيبها، إسبقني إنت على فوق وأنا جاي وراك.
- متأخرش أنا هشتغل في السمك، هات معاك عيش طازة.

ما أن ابتعدت حتى خفت الطنين ثم اختفي تماما حين دخل هو إلى البيت!

هل ما خمنتة الآن صحيحا؟

يارب أدعوك وأرجو رحمتك، ألا تضعني في هذا الاختبار.

25



خطوة لا بد منها

يحكيها الضابط

ما حكاة بدر الآن يربط الأمور ببعضها ويتسق منطقيا مع سير التحقيقات، جاء لتوه من بيت المنيل في حال يرثي لها، قال أن عمه هو من نبحت عنه، العجوز السبعيني الغامض عازف العود.

روي تفاصيل الحيلة التي قام بها هو لكشف أبعاد اللغز، كان نعمان الشخص الوحيد الذي لم يقدر على سماع أفكاره من بين

كشاش الحمام

كل المجتمعين في دار المنصورة، تأكد من ذلك اليوم مرتان، الأولى عندما قابله أمام البيت والثانية لما عاد إليه بعدها بقليل والخوذة على رأسه.

لكن ما قاله ليس كافيا لإغلاق القضية، ما نتحدث عنه ليس عميلا لدولة اجنبيه، ليس تاجر مخدرات أو قاتل متسلسل، والتعامل مع الأمر يتطلب تفكيراً مختلفاً حسب تقديري فنحن لا نعرف ما يمكن وأن يبيده من ردة فعل أن شعر بأنه محاصر.

من استطاع أن يقطع التيار الكهربى عن بلدة بأكملها وأن يفرغ جمجمة دون أن يخدشها وأن يقتل أشخاصا دون أن يلمسهم لا يمكن التعامل معه على أنه مجرماً عادى.

لا زالت هناك أموراً عالقة وأدلة ملموسة تحتاج لنفى أو تأكيد من بينها بصمات مينا ميخائيل على جهاز التنصت المزروع بسيارته وهو الأمر الذي لم أفصح لبدر عنه بطبيعة الحال.

كما أن اختفاء زوجته الآن أمراً يستلزم هو الآخر الحذر في التعامل حتى نمنع تفاقم عدد الضحايا فيما يدور الآن من أحداث.

كشاش الحمام

نجحنا صباح اليوم في القبض على سامر طبوش وما جاء في اعتراف كان مذهلا.

تحدث عن كائنا قديما من طاقة يتلبس بأجساد البشر، كائنا يستطيع التحكم في محيطه والمتواجدين به عن بعد.

حكي ما لا يمكن تصديقه عن مطاردات له عبر تاريخ طويل لم يفلح أيّ منها في الإيقاع به أو القضاء عليه.

لكن هناك أمورا لا بد وأن تحسم بالدليل القاطع على أية حال قبل وضع خطة يمكن تنفيذها.

قلت لبدرا أن يستمع جيدا وأن ينفذ ما سأطلبه منه الآن حرفيا.

26



كشاش الحمام

يحكيها المهندس

يقول فيلسوف الصوفية جلال الدين الرومي "عيوننا ما تراك،
لكن عذرا لنا، فالعيون ترى مظهرا، لا حقيقة"، ويقول أيضا بديع
الزمان الهمذاني "رأيت الناس خداعا إلى جانب خداع، يعيشون
مع الذئب وييكون مع الراعي".

كشاش الحمام

يقولون كذلك أن كش الحمام حرفة المخادعين، هواية لم تحظ باحترام المجتمعات منذ القدم لارتباطها بالقرصنة على طيور الآخرين والتلصص على أسرار الناس وعوراتهم من فوق الأسطح.

وحتى عصرنا هذا لا تؤخذ بشهادة كشاش الحمام أمام محاكم بعض البلدان العربية بحكم القانون. تلك الهواية التي وبقدر ما فيها من جانب إنساني وعلاقتها بطيور عرف عنها الوداعة والسلام تبقى في شق منها هواية الخداع.

كانت الشمس على وشك الغروب والسماء صافية لا سحب فيها، وقفت عند باب التراس أتأمله وخوذة دراجتي النارية فوق رأسي.

كان نعمان - إن كان يصح الآن أن أسميه كذلك - هناك إلى جوار الأعشاش ممسكا براية حمراء يلوح بها يمينا ويسارا ناظرا إلى اسراب الحمام التي تحلق على ارتفاع شاهق. ويطلق صفيرا ذا مغزي عدة مرات في إشارة منه إلى الطيور كي تهبط إلى أعشاشها.

كشاش الحمام

أخذ الحمام الطائر دورة أخيرة قبل أن يستجيب للأمر ويشرع في الهبوط تدريجياً في دورات حلزونية واسعة حتى استقر جميعه فوق سطحها ثم شرع يدخل واحداً تلو الآخر إلى مكانه وهو يهدل ويدور حول نفسه وبدأ بعضهم يقبل على صحن الماء والطعام الممتلئة بالحبوب بينما شرع هو في إغلاق أبواب الأعشاش التي امتلأت بساكنيها.

لم أدخل، كنت فقط أطل برأسي من الباب بعينين مغرورتين تقف على أعتابهما الدموع، تتقاتل في صدري مشاعر كثيرة، أشعر بالحزن، أشعر بالحسرة، أشعر بالحيرة، والشفقة، والفقد والحب.

أحاول إنكار حقيقة تؤلمني، تنحني من الوريد إلى الوريد. انسابت مني عبارات رغما عني وقد عجز عقلي عن استحضار كلمات يمكن أن تقال. أنا قادم إليه برسالة واحدة، فما عاد يشغلني الآن سواها، أريدها بين ذراعي ولينتهي هذا العالم بعدها.

كشاش الحمام

حانت منه التفاته نحوي، بادلني هو الآخر نظرة طويلة أطرق بعدها برأسه نحو الأرض وهو يهزها لأعلى ولأسفل كمن فطن إلى أمر ما.

ثم وضع يده اليسرى في جيب بيجامته وضحك في تهكم وهو يهز رأسه تلك المرة يمينا ويسارا كأن هناك مفارقة ما أدهشته.

قلت له بصوت معجون بحسرتي:

- كان ممكن الناس كلها تخدعني وكنت هتحمّل ده، إنما أنت لأ، كان ممكن اقبل زيف أيّ حد في الدنيا إلا أنت.

لم يجب وإنما رنا ببصره نحو صفحة مياه النيل كأنما يفكر في شيء ما فتقدمت نحوه خطوتان ووجهت له سؤالاً واحداً من كلمتين:

- فين ياسمين؟

تنهد تنهيدة طويلة ووضع الراية التي كان يحملها جانبا ثم خطا باتجاه التكعيبية ليجلس عندها وهو يشير إلى ان اتبعه قائلاً:

- تعالى تعالى.

كشاش الحمام

لم احرك خطوة، وإنما ظللت في مكاني واقفا بالقرب من الباب ومكررا سؤالِي بصوت أعلى:

- بقولك فين ياسمين؟

أشار إلى الخوذة التي أضعها فوق رأسي قائلاً:

- حلوة الفكرة دي، حاشيها رصاص وكوارتز طبعاً، بس دي ثقيله على دماغك يا بني ورقبتك توجعك. مفيش فائدة فيك من صغرك وأنت تحب الأفلام الأمريكياني يا ولد.

لم اعلق على كلماته، بينما تابع وهو يشير إلى بإصبعه محذراً:

- بس خد بالك، هي تمنعني أقرأ أفكارك، إنما مش هتمنعني منك، أنت ذكي، وأكيد مقدر ده.

قلت له في توسل:

- أيا كان اللي أنت عاوزه مني أنا هعمله، بس بلاش تأذيها.

تأتأ بشفتيه مرات ثلاث وقال وهو يهز رأسه:

كشاش الحمام

- متبقاش عبيط بقى، ده أنت وهي ولادي، تعالي اقعد، تعالي متخافش.

تقدمت نحوه ببطء وحذر، أقدم ساقا وأؤخر الثانية، إلى أن جلست أمامه، فأمسك بالعود المركون إلى جوار الأريكة ووضع فوق ساقه اليسرى ثم شرع يندن لحن أغنية بنادي عليك لفريد الأطرش وهو يغلق عيناه ويهز رأسه في طرب واستمتاع قائلاً:

- تعرف، تأثير إيقاع العود ده عليا عامل بالظبط زي تأثير ممارسة الجنس على جهازكم العصبي، شعور بالنشوة مش ممكن تتخيله، اللي اخترعه كان لازم ياخذ حاجة زي نوبل. اسمه زرياب على فكرة، من الأندلس، أنا سافرت له وقتها من مصر مخصوص علشان اشكره.

استمر في العزف لدقيقه أخرى توقف بعدها واطلق زفيراً طويلاً كمن انتهى لتوه من مجهود بدني شاق، ثم وضع العود جانبا وهو يقول:

كشاش الحمام

- ياسمين بخير ما تقلقش. ما أنا لو كنت عاوز أضرك أو أضرها كنت عملت ده من زمان، بس نخلص اللي بيننا أنا وأنت وبعدين تروحوا بيتكم بالسلامة.

سألته في لهفة السؤال الصعب:

- ونعمان؟

أطرق برأسه إلى الأرض كمن يخجل من أمر ما وهرش في رأسه من الخلف قائلا:

- آه... احم... نعمان بقى مع الأسف مقدرش ارجع هولك، ما هو أصله كان كبر يابني، وأتتم محدش عندكم بيطول يعني. ادعي له بالرحمة، وأنا بعد ما امشي هسيبهولك تدفنه وتصلي عليه.

أسقط في يدي، شعرت بركلة في قلبي من هول الفاجعة، وجدتني أضرب على الخوذة التي تغطي رأسي بكلتا كفي مسندا مرفقي إلى ركبتي وأجهش بالبكاء.

بقي هو صامتا، ثم قام ومشى حتى بلغ صندوقا خشبيا مجاورا للحائط عند المدخل اخرج منه أداة لتقليم المزروعات وأخرى

كشاش الحمام

لتقليب التربة ثم توجه نحو أحد أحواض الزرع والورود وشرع
يقلم أغصانها لدقائق عدة حتى وجدني قد توقفت عن البكاء،
التفت ناحيتي ثم قام وعاد إلى مرة أخرى وهو يقول:

- اسمع يا بدر، من بين كل اللي عشت جواهم ومعاهم عدد
قليل قوي منكم قدرتهم واحترمت حياتهم، أنت واحد منهم،
وعشان تعرف اني مقدرك اكثر أنا هجاوبك على أيّ سؤال تسأله
بمنتهي الصراحة. خد بالك، عمرى ما أهتمت اني أعرض ده على
حد.

رفعت رأسي نحوه وأنا أطلعه في غل، كان غضبي مسيطرا على
مختلطا بالحيرة وبالإنكار، تمنيت لو أنني أحلم، لو أنه محض
كابوس ثقيل أفيق منه على نعمان الحقيقي وهو يهزني لأصحو،
إلا أن جزءا في داخلي كان يأمرني بأن استجمع شتات نفسي وأن
أتماسك حتى لا أقدم على حماقة من شأنها إلحاق الضرر
ببإسمين. بداخلي الف سؤال وسؤال تلبية لدعوته بأن أسأل،
اخترت أولها:

- من امتى وأنت جواه؟

رد بسرعة:

- من عشر سنين. أنا جيت معاك من أوكرانيا لما لقيتك ناوي
تاخذ خطوة تخدمني. حماسك ودماعك عجبوني، قوتل أما
أشوفك هتروح لفين، وبصراحة الى أنت عملته مش شوية،
مش بقولك بقدرك.

- جيت معايا إزاي؟

ضحك وهو يلعب حاجبيه قائلاً:

- فاكر القطة اللي إدهالك البروفيسور زينتسيف هدية، أنا بقى
القطة. إنت كمان بزورك من وقت للتاني على السريع كده.

كنت أتوقع شيء كهذا، ما يربط بيني وبين الحارس يفسره الآن
وجود هذا الكائن في جسد كلا منا سابقا، سألته كيف غادر
جسدي ولا زلت حيا إلى الآن فأجاب:

- لا ما هو مش كل اللي بزوره باخد مخه معايا وأنا خارج، اللي
بحتاج ذكرياتهم القديمة بس. كان لازم اعمل كده مع عماد، عنده
تفاصيل مهمة من زمان تخص شغلكم، أفكاره الوقتية والقريبة

كشاش الحمام

ماكنتش هتفيدني كتير. وطبعاً كان لازم اعمل نفس الشيء مع
نعمان عشان افضل جنبك وقريب منك.

قلت له في لوعة واستنكار:

- ليه أذيته؟ ليه ما فضلتش في جسمي أنا؟

قال وهو يفرد ذراعيه ويضرب بهما جانبيه إشارة على قلة الحيلة:

- يا ريتني كنت أقدر، إنما فصيلة دم حضرتك بقى طلعت O-،
الحاجة الوحيدة يا أخي اللي مبعرفش اصلحها فيكم، مقدرش
استمر معاها في جسم بشري غير دقايق، قلة اليود تأثيرها مش
حلو على نسبة المادة اللي فيا، حاجة كده زي الحساسية عندكم.

سبحان الله يا أبني، من بين سته في الميه بس من
البشر تطلع أنت واحد منهم، حظك وحظي بقى. وطبعاً مكنتش
أقدر اعمل معاك اللي عملته مع عماد ونعمان، أتسمم مقدرش
اقعد في جسمك أكثر من كام دقيقة.

كشاش الحمام

لحظة، هل قال أن باستطاعته إصلاح عيوب وأمراض في أجساد البشر التي يسكنها؟ سألته عن ذلك وأنا اضغط على كلماتي فأجابني:

- أه، بتسأل ليه؟ ما تقلع يابني الطاسة دي، خليني افهمك على طول؟

بقيت مترددا، هل جرؤت في نفسي على أن اغفر له كل ذنب مقابل عطية واحدة؟ هل أتسامح فيمن أخذهم مني واطلب منه شيئاً كهذا؟ هل أفعل ما فعله الدكتور فاوست في الرواية الشهيرة وأسلم روعي للشيطان مقابل حرث الدنيا؟

غلبني ضعفي بالنهاية وخرجت الكلمات من لساني رغما عني:

- يعني تقدر تعالج حالة عقم؟

تراجع بظهره إلى الورا كمن تفاجأ بسؤالي وقال في حرج من جديد:

- أوباه، شكلك كده هتزل اكثر.

كشاش الحمام

لم أفهم مقصده، لماذا يجد في الأمر صعوبة، هل هو يتخصص في علاج علل بعينها كالأطباء مثلاً؟ سألتته عما يعنيه بذلك، ظل يطالعني لثوان وهو يسحب خده الأيمن في نصف ابتسامه ويرفع حاجبيه علامة على صعوبة إيجاد الكلمات المناسبة ثم قال:

- إنت بالأساس من عشر سنين كنت تقدر تخلف إنما...

انتفضت واقفاً قبل أن يكمل كلماته وقد سعد الدم إلى رأسي وأنا أحملق فيه بعينين لا تريان، ما الذي يقوله لي الآن، أيّ عذاب يرغب في إضافته إلى قائمة عذاباتي؟ بينما هو تابع في هدوء:

- موضوع الخلفة ده سببه المادة البروتينية اللي بتفضل في جسمك بعد كل زيارة مني، رد فعل مناعي لأجسامكم، بتولد أجسام مضادة ليها ولمركبات بروتينية تانية المفروض إن جسمكم بيمنتجها بشكل طبيعي ومن ضمنها الأجسام المضادة للحيوانات المنوية بيسموها باين Blood Testis Barriers.

جاهدت كثيراً للسيطرة على نفسي. الصدمة تلو الأخرى تفقدني القدرة شيئاً فشيئاً على التحكم في أعصابي ومشاعري، هذا الواقع أمامي في جسد عمي قد دمر تقريبا كل من أحب.

كشاش الحمام

الشخص الذي اتخذته طيلة حياتي معلما وسندا وعونا سليني كل من كان لي عون وسند، حرمني أعلى نعم الحياة وأنفثها، لم أدر بنفسني إلا وأنا أقبض بكلتا يدي على ياقة البيجامة التي يرتديها وأجذبه نحوي عدة مرات صارخا في هستريا:

- وكنت بتنصحيني أطلقها؟ إنت إيه؟ إنت إيه؟

فك قبضتي وانزلهما جانبا في قوة كادت أن تسحق عظامي، قوة لا يمكن وأن تتناسب أبدا مع حالته الجسمانية أو عمره وهو يقول في ثبات وصرامه:

- اهدي كده وبلاش العشم ياخذك قوى، أنا صحيح بقدرك، بس أوعى تزعلني منك، ركز.

ثم دفعني بقوة فوجدتني أطيير واستقر على الكرسي واندفع معه لمرتطم بالسور ارتطاما عنيفا تحطم معه ظهره الخشبي وارجله، بينما أكمل هو:

- أنا افهم مشاعركم وأعرف بتفكروا أزاوي، إنما إنت صعب تفهم أنا بفكر إزاوي وبعمل ايه وبعمله ليه، حتى لو شرحت لك.

كشاش الحمام

ثم عدل من وضعيۃ بيجامته وهندمها وهو يقول:

- صاحبك عماد هو كمان مفهمش، جبته هنا يومها وشرحت له بالحسني أنا عاوزه يعمل إيه، بس حب يستنصح واستعجل على عمره. كنت مضطر أدخل جواه وأروح مدار أنفذ بنفسي، إنما بقي طلعت التفاصيل عنده ناقصة، والمطلوب محتاج فريق شغل على بعضه من الناس بتوعك عشان يتم. والموضوع في الآخر باظ.

ضحك ضحكة تهكمية خفيفة بعدها وهو يضيف:

- وأنا خارج من هناك خرجت في جسم قطة، شوفت البهدلة؟ بس قولت أعملكم حركتين أكشن كده في المزرعة. على فكرة أنا قصدت أسيب الواد الغفير عايش، قولت ألعب في دماغه شوية عشان يسليكم. مرة تشكوا فيه، مرة في عماد ومرة في مينا. انتوا لعبتي، وسيادة المقدم ابن حلال ويستاهل.

ثم مال على وهو ينظر في عيني مباشرة قائلاً:

- نظرة مني تدخلك في حالة هلوسة باقي عمرك، بصة واحدة لمينا صاحبك خلته يفتح باب عربيتك في المضيقة ويوطي

كشاش الحمام

يمسك جهاز التصنت ويحط بصماته عليه. بس متخافش على روحك، أنا عاوزك زي ما أنت طبيعي.

قهقه بعدها بدوي عال، هذه المرة بصوت غير بشري، أشبه بحيوان ضار، دب أو أسد ممتزج بصوت آخر قريب من سهيل الحصان.

جف الدم في عروقي وأنا منبطح على الأرض أمامه، قمت منتفضا ومتحاملاً على نفسي بساقين مرتعشتين شاعرا بأن عظامي قد تكسرت ولم يبق أحداها في مكانه، سألته وأنا أضغط على أسناني لفرط الألم:

- الغفير الثاني راح فين؟ والحاجات اللي اختفت من المزرعة؟

مط شفتيه دلالة على عدم اكتراثه وأجاب:

- في ملكوت الله، متهيألى أنت فهمت دلوقت أن نسبة كبيرة مني عبارة عن طاقة، المجال الكهرومغناطيسي اللي شغلته هناك أنا أقدر أضعفه بمجرد وجودي فيه أكثر من 30 ضعف، أغلب الأجسام اللي كانت قريبة من مركز الموجة هناك أتحول لطاقة.

كشاش الحمام

كان لابد وأن أسأله عن غرضه من وراء كل هذا، عن حصيلة
انتظاره سنوات عشر كاملة هنا، عما يرغب مني فعله الآن
ليطلق سراح ياسمين؟ فأجابني:

- أهو كده الكلام.

عاد للجلوس مرة أخرى إلى أحد الأرائك واضعا ساقا فوق الأخرى
ومشيرا إلى بأن أجلس أنا أيضا، ثم قال وهو يقلب كفه اليميني
بين وجهها وظهرها ويطالع أظافر أصابعه:

- أنا هسيبك تمشي دلوقت وهجيلك مدار وقت أما تكلمني
وتقولي إنك جاهز أنت وفريقك تشغلوا المصادم بالشروط
والقياسات اللي هقولك عليها.

- وأنت عرفت القياسات دي منين؟

نظر لي في امتعاض قائلا:

- جري ايه يا باشمهندس، إنت ناسي اني جايلك من CERN وإلا
إيه؟

- وبعدين؟ ايه هيحصل؟

كشاش الحمام

- إيه هيحصل دي حاجة تخصني، بس تقدر تقول اني همشي من هنا وهسيبكم بدون ما أسبب لكم خسائر، ده في حد ذاته مهم لكم. كل اللي محتاجة منك تحفيز لمجال هيجز بكفي وجود 10 Higgs Singlets مش أكثر ولمدة 0.7ملي ثانية.

ثم قبل باطن يده بصوت رفيع ورفع بعدها كفه في تحية عسكرية تعني أن ما بعدها هو الوداع. سألته:

- تهمك جسيمات هيجز، رايح بعد تاني؟ وإلا هتسافر في الزمن؟
- يابني مش هتفهم.

صمتت قليلاً ثم سألته مرة أخرى:

- أنت أصلاً جيت لنا مينين؟

قهقه كثيراً بصوت عال، رغم منطقية سؤاله، ذلك السؤال الذي كان يجب وأن يتوقعه مني مبكراً لولا انشغالي بالتفكير في ياسمين، لكن يبدو أنه ولسبب ما قد وجد فيه مفارقة أعجبتة.
رد قائلاً:

كشاش الحمام

- وحياتك ده اكثر سؤال اتسألته هنا، بتفكروني يا أخي بقصة الذبابة المغرورة. ما تسألوا نفسكم، مش يمكن أنتم اللي جيتوا من مكان تاني؟ صدقني، أنتم تافهين قوي يا بني بكل مشاكلكم والغاغة اللي أنتم عاملينها دي. إنما عموما خليك مع حكاية البعد الثاني دي. ده أقرب لعقلكم وخيالكم. واللي حابب فيكم يروح سراييوم سقارة، يمكن يفهم حاجة.

نهضت من مكاني مغادرا فأشار لي بإصبعه:

- التفاصيل هبعثها لك على الايميل علشان ما تنساش حاجة.

أكملت سيرتي باتجاه الباب فنناداني بصوت حاد:

- استني عندك.

تسمرت في مكاني، جاء إلى وخلع عني الجاكت الجلدي الذي أردتيه، ثم مزع قميصي في قوة كاشفا عن صدري فظهر أسفله جهاز التنصت الصغير الملتصق اليه. ابتسم هو في تهكم ثم جذبني من كتفي نحوه واضعا فمه بالقرب من الجهاز وهو يقول:

كشاش الحمام

- إيه يا سيادة المقدم، مش كنت تيجي وياه نحشيلك
جوز حمام، وإلا قلبك رق له وبقيت غاوي طير زينا؟
هشوفك هناك أكيد، أوعي ماتجيش.

27



هدية وداع

يحكيها الضابط

القمر مكتملا وعقارب الساعة تشير إلى الثامنة مساء. المكان
منطقة دهشور بصحراء الجيزة، حيث مقر منشأة مدار.

اصطفت سيارات الانتشار السريع على جانبي مدخل البوابة
الرئيسية يهدر صوتها المعدني وكشافاتها العلوية ذات اللونين
الأحمر والأزرق محيلة ليل الصحراء البهيم إلى واحدا من عروض

كشاش الحمام

الصوت والضوء، بينما انتشر أفراد قوات التأمين مع المدرعات
كيفما اتفق بشكل محيطي حول كافة المباني والصور الخارجي
لها.

توقفت تلك السيارة الأجرة بيضاء اللون عند البوابة ثم فتح
الباب المجاور للسائق وترجل منه نعمان الصواف، برغم كل ما
حدث ما زلت أعتبر هذا الشيء هو نعمان ولا أدري لذلك سببا،
ربما كان سبب ذلك هو غموض شخصيته عند لقائنا الأول.

مبتسمًا، حليق الذقن مع شعر فضي لامع ممشط بعناية
كمثلي السينما، متأنقا يرتدي بذلة بيج فاتحة اللون وربطة
عنق دم غزال واضعا زهرة حمراء في جيب الجاكت.

بدا بنحافته ووجهه بارز العظام مثل ستيفان روستي مقبلا على
كازينو تنتظره فيه ميمي شكيب ليستعيدا سويا شقاوة قديمة
من حقبة الأربعينيات.

فتح سائق السيارة الأجرة بابه بدوره ونزل منه يطالع هذا
المهرجان في انبهار ورهبة وهو ينقل بصره بيننا وبين العجوز
الذي كان يقله محاولا في فضول فهم ما يدور، فلما انتبه لي

كشاش الحمام

ووجدني أطلعه في تفحص وثبات وجل ثم قفز داخل سيارته مذعورا وانطلق بها مبتعدا كأن شياطين الأرض تطارده.

تقدم نعمان بين صفي الجنود في خيلاء مبتذله كأنه رئيس يستعرض حرس الشرف بينما أنا على وشك أن أصاب بالفالج.

ما أن وصل عندي حتى اتسعت ابتسامته أكثر ثم غمز لي بعينه اليميني ومال بجذعه في إنحنائه صغيرة من باب التحية. يبدو أنها ليلة طويلة فعلا.

أشرت إليه بأن يتبعني حيث تقف سيارة أخرى تنتظرنا مع سيارة تأمين خلفها. جاء أحد الجنود بعصاة سوداء ليضعها على عينيه فما كان منه إلا أن قهقه ضاحكا وهو يضرب كفا بأخري ويقول:

- طب أنا راضي ذمتك، هو ينفع برضوا؟

الصبر من عندك يارب، ما الذي يمنعني من تزيين رأس هذا العجوز المستفز برصاصة بمنتصف الجبهة، ليكن كائنا من طاقة، أو سوبرمان أو حتى الرجل العناب، فليدبرني وقتها مهاراته في احتلال أجساد البشر.

قلت له وأنا أجز على أسناني في نفاذ صبر:

- التعليمات كده، ياريت نخلص.

لما وضع الجندي العصابة فوق عينيه، فرد ذراعه نحوي في إشارة لي كي أساعده على الجلوس داخل السيارة، ففعلت وأنا أتمتم بعبارات السباب.

جلس اثنان من طاقم الحراسة الخاصة إلى جواره بالكنبة الخلفية في حين جلست أنا بالأمام إلى جوار السائق، وبدأت السيارة تشق طريقها بنا نحو بوابة النفق المؤدي لمدخل المصادم بينما تتبعنا سيارة التأمين.

سمعته يقهقه في سعادة فالتفت إليه، ما هذا؟ أين ذهبت العصابة التي كانت تغطي عيناه؟، تبادلنا النظرات مع الحارسان الجالسان إلى جواره فبدأ وجههما ممتقعا دلالة على عدم ملاحظتهم أو فهمهم لكيفية حدوث ذلك. استعدت بالله من الشيطان في داخلي، من الواضح أنه يستعرض مواهبه ولا أنكر أن قدرا من القلق والخوف قد بدءا في مساورتي وأن حاولت الإبقاء على تعابير وجهي ثابتة غير مبالية.

كشاش الحمام

قال نعمان في مرح وهو يشير إلى الجهاز الموضوع فوق رأسي:

- حلوة فكرة التشويش دي، بدر ده تربيتي بصحيح، بس
أنتم لسه يعني خايفين مني أقرأ أفكاركم؟، ده أنا
خلاص، ضيف وماشي.

لم أعلق، على إتمام المهمة بأقل عدد من الكلمات، الحيلة
والحذر لازمين ما دام موجودا على مقربة، هكذا كان الاتفاق مع
بدر الصواف ومجموعة العمل. ساد الصمت قليلاً ثم بدأ هو
بعدها يزوم بلحن ما مرددا كلمات غير مفهومة وهو يهز جزعه
للأمام وللخلف:

- اعت مار ماروخ فيت بر، اعت مار بر

تبادلت النظرات في توتر مرة أخرى مع الحارسان وسائق السيارة
الجالس إلى يساري والذي ابتسم لما يقوله ظنا منه أنه رجلا
مخبولا.

- اعت مار ماروخ فيت بر، اعت مار بر

قلت من البداية أنها ليلة طويلة، فقط أدعو الله أن تمر دون أن
اضطر لارتكاب حماقات تخالف ما اتفق عليه.

كشاش الحمام

هنا دوت فجأة داخل السيارة أصوات الدببة وزئير الأسود وصهيل الخيل مصحوبين بصوت طقطقة عالية جدا عندما ردد نعمان نفس الكلمات من جديد، ولكن هذه المرة بصوت عال مريع لا يمكن وأن يصدر عن حنجرة بشر أبدا وقد استحالت عيناه لسواد حالك:

- اعت مار ماروخ فيت بر، اعت مار بر

هل جربت أن يوقظك أحدهم من نومك من خلال ميكروفون مسلط على أذنك؟ قفزنا جميعا في كراسينا وارتطمت رؤوسنا بسقف السيارة.

أشهر الضابطان الجالسان إلى جواره سلاحيهما في وجهه لا إراديا، بينما ارتجت عجلة قيادة السيارة في يد السائق من شدة فزعه وراحت تتأرجح يمينا ويسارا، فأمسكت بذراعه وكتفه ليتمالك نفسه وأنا انظر إليه في صرامه وأهز رأسي مطمئنا ومطالباً إياه ألا يخاف.

كشاش الحمام

ثم أشرت للحارسين أن يخفضا سلاحيهما الموجهان إلى جبهته فبقيا لثوان غير مستجيبين ثم خفضاه بعدها وصدრهما يعلو ويهبط في انفعال وتحفز مع عرق يتصبب على جبينيهما.

التمست لهم جميعا كل العذر، فبرغم التحذيرات بالاستعداد إلى أي سيناريو محتمل لم يكن سيناريو "الشیطان يغني إلى جوارى" متوقعا كثيرًا.

جاءني صوت اللواء العراقي في سماعة الأذن يسألني عما حدث فطمأنته أن الأمور على ما يرام.

ردد الوجد العبارة مرة أخيرة بصوت نعمان البشري ثم صمت وأن ظل يترنح للأمام وللخلف مغلقا عيناه، بعدها فتحهما فكانتا بشريتين يظهر بياضهما بشكل طبيعي. نظرتي وابتسم في لطف ووداعة.

بقيت متلفتا باتجاهه ما تبقى من الطريق ويدي اليميني تتحسس سلاحي انقل نظري بينه وبين الحارسين، لن أجرؤ على إعطاء هذا الشيء ظهري أبدا. بعد خمس دقائق وصلنا عند

كشاش الحمام

النقطة المحددة داخل النفق والتي يوجد عندها باب صغير كتب عليه "مركز التصادم - مدخل 1".

نزلنا من السيارة ووقفنا عند الباب فانفتح أوتوماتيكيا ودلفنا إلى الداخل. سرنا في ممر طويل لدقيقتين حتى ظهر باب آخر يفتح يدويا.

فتحته فوجدنا أنفسنا داخل ساحة عملاقة في حجم ملعب صغير لكرة القدم مبطنة الجدران بما يشبه الوسائد القطنية يتقاطع عند منتصفها أنبوبان معدنيان عملاقان قادمان من الجدران نفسها وينتهيها عندها أيضا في الناحية الأخرى.

يتواجد عند نقطة التقاطع ما يشبه صندوق أو تابوت معدني ضخم له باب صغير مربع الشكل.

كان بدر الصواف يقف إلى جواره يرتدي نفس جهاز التشويش الذي يشبه إلى حد ما نظارات الواقع الافتراضي وتغطي عيناه بعدسات غامقة اللون.

رآه نعمان ففتح ذراعيه عن آخرهما وهو يحتضنه قائلا:

كشاش الحمام

- آه يا ولد، عمرك ما خبيت ظني فيك أبدا، ابن نعمان الصواف بصحيح.

لم يعلق بدر على عبارته وإنما رد بكلمة واحدة:

- ياسمين؟

قال نعمان وهو ينظر إلى ساعته:

- أه، لما تروح غرفة التحكم هيوصلك إيميل فيه مكانها بعد ربع ساعة من دلوقت.

ثم ابتسم في حنان ووداعة وهو يقول:

- هتصدقني لو قلت لك انك هتوحشوني؟

ظل بدر صامتا يطالعه في جمود ثم قال موجهها كلامه لي:

- يلا بينا يا أحمد بيه

هممت بالخروج معه أنا وطاقم الحراسة غير أن نعمان استوقفه قائلاً:

- استني، إيه، مش هتاخذ عمك معاك؟

كشاش الحمام

التفت بدر نحوه في لهفة بينما تحفزت أنا وتحسست جراب مسدسي وكذا فعل طاقم الحراسة.

خرج فجأة من فم نعمان وأنفه وأذنيه دخان أسود ثقيل لزج وكثيف وسط دھولنا أخذ يزداد حجما حتى كون سحابة كبيرة فوق رؤوسنا، سحابة حالكة السواد يخرج منها ومضات رفيعة جدا كالخيوط لها صوت طقطقة كالتي سمعناها في السيارة.

ما أن فرغ الدخان حتى سقط جسد نعمان على الأرض بينما اتجهت السحابة إلى باب الصندوق المعدني الموجود عند تقاطع الأنابيب وبدأت تنسل ببطء داخله.

ركع بدر على الأرض محتضنا جسد عمه دافنا رأسه في صدره وبدأ ينتحب، ربت على كتفه وأنا أواسيه:

- شد حيلك يا بدر، محتاجين نخرج علشان ياسمين.

مسح دموعه ثم قام به وهو يحمله فوق ذراعيه رافضا مساعدة أيّ منا له، بينما طلب مني إغلاق باب الصندوق الذي احتوي الكائن الداخلي ففعلت في حذر وأدرت عجلة القفل الثقيلة نحو اليمين في إحكام حتى أصدرت صوت الإغلاق.

كشاش الحمام

خرجنا إلى السيارة وركبناها متجهين إلى باب مدخل غرفة التحكم على بعد 10 كيلومتر متر تقريبا.

كان مينا ميخائيل ينتظرنا داخلها وكانت مليئة بالشاشات ولوحات التحكم وعدد من المختصين القائمين عليها، والجميع يرتدي فوق رأسه ذات الجهاز.

وضع بدر جثة عمه فوق طاولة جانبية وقبل رأسه، ثم اتجه إلى جهاز لابتوب وفتحه لمطالعة بريده الإلكتروني.

طالعت معه الشاشة. بالفعل وصل إيميل يحتوي على إحدائيات موقع لخطي الطول والعرض أدخلتهما لمحرك الخرائط على جهازي المحمول في عجلة فتبين أنها تشير إلى موقع بيت المنيل نفسه.

اتصلت على فريق المراقبة المتمركز هناك وطلبت منهم أن يكسروا أبواب كافة شقق البيت بحثا عنها ووقفنا ننتظر.

خمس دقائق إضافية مرت دهرا، جاءني بعدها اتصال من أحد أفراد الفريق فرددت بسرعة، كنت استمع لما يقول وأنا أشير لبدر بإبهامي الأيمن في علامة تأكيد وطمأنه وأنا أقول:

كشاش الحمام

- الحمد لله لقوها، هي بخير متخافش، كانت في شقة في الدور الثاني، هي بس داخة شوية من أثر التكتيف والحبال، فريق طبي مختص هيطننا أكثر، قدر ولطف.

أطلق زفرة طويلة ثم توجه نحو واحدة من اللوحات، وضغط على زر أحمر بها فانطلقت صافرة طويلة بدأ بعدها عدا تنازليا عكسيا على الشاشة الرئيسية يبدأ من 59.

عندما وصل العداد إلى الرقم صفر أظلمت القاعة إلا من شاشات العرض العملاقة التي تعرض إحداها محاكاة لما يدور داخل المصادم بينما تعرض الأخرى عن طريق الكاميرات ما يحدث في مقر التصادم الذي كنا عنده منذ قليل حيث الكائن قابعا داخل الصندوق.

بدأت المحاكاة تعرض صورة تفأعلىة لغاز ما يتم تسريبه داخل أنبوب اسطواني ثم ظهرت أسفل الشاشة عبارة "مرحلة حقن الهيدروجين".

ظهر بعدها ما يبدو فصلا لأجسام رمادية اللون عن ذلك الغاز المحقون ومغادرتها للأنبوب مع بقاء أجسام مستديرة ذات لون

كشاش الحمام

بنفسجي، وظهرت أيضا تحت الشاشة عبارة "اكتمال فصل البروتونات".

بدأت البروتونات تأخذ طريقها إلى الجهة الأخرى في نسق متسارع شيئا فشيئا حتى ظهرت عبارة 30% سرعة الضوء.

ثم توزعت حفنة البروتونات بعد ذلك على أربعة أنابيب دائرية أكبر في اربع مجموعات وظهرت عبارة "تشغيل المسرعات - طاقة المغناطيس القصوى" ظلت على هذا الحال لفترة وحركتها تتسارع أكثر حتى ظهر رقم 91% سرعة الضوء.

في المرحلة التي تليها تم دمج ودفق المجموعات الأربعة في مجموعتين فقط واحدة باللون الأحمر بينما الأخرى باللون الأزرق اطلقتا على التوالي داخل حلقة دائرية أكبر كثيرًا وظهرت عبارة "تشغيل المزامن - السرعة القصوى"

وبدا كأنهما تطاردان بعضهما البعض داخل الحلقة حتى ظهر بعدها رقم 99% من سرعة الضوء وظهرت كذلك عبارة أخرى "الكتلة مثالية"، توجهتا بعدها إلى حلقة أكبر كان تسمي "مزامن البروتونات الفائقة".

كشاش الحمام

دارتا فيه لدقائق وظهرت بعدها عبارة "النقل إلى المصادم بدر"، ثم أطلقتنا داخل الأنبوبيين الدائريين العملاقين الأكبر والممتدان على مسافة 30 كيلومتر كما بدا لي محيطهما من الأبعاد الظاهرة على الشاشة.

أنبوبا تدور فيه المجموعة الزرقاء والآخر تدور فيه الحمراء. ظللنا لنصف ساعة كاملة على هذا الحال والشاشة تعرض نسب متزايدة من تكثيف الطاقة. ظهر بعدها عبارة تظهر وتختفي في تحذير "الاستعداد للتصادم".

بدأ معها عد عكسي من ثلاثون ثانية. بعد الثانية العشرون ضغط بدر على زر في جهاز يحمله فبدا لي في شاشة صغيرة أخرى تعرض حجرة التصادم التي يتواجد بها الكائن الدخاني ما يشبه الدخان الأحمر وكان ينتشر فيها بسرعة.

بعدها حدث التصادم. مع حدوثه سمعنا صوت انفجار ضخيم، مروع مع ضوء مبهر غطي الشاشات جميعا قبل أن تظلم الدنيا فجأة.

كشاش الحمام

ظلام تام حاق بالمكان استمر لثوان ثم عادت الأضواء والشاشات للعمل مرة أخرى. طالعت وجهي بدر ومينا فبدا ممتنعين وعيونهما متسعيتين عن آخرهما، سألت بدر في قلق:

- إيه اللي حصل ده؟

لم يجب وإنما توجه في هلع ولهفة لأحد مهندسي فريق العمل وسأله بعض الأسئلة وعلى ما يبدو أكد له الأخير بأن الأمور جميعها على ما يرام والأجهزة تعمل بصورة طبيعية.

أطلق بدر زفرة طويلة وجلس على الأرض، في حين ناداه مينا وهو يشير برأسه إلى الشاشة التي تعرض صورة حجرة التصادم من الخارج. كان الباب محطم وملقي جانبا.

الباب المعدني الثقيل الذي أغلقته بيدي والذي لا يقل وزنه بأي حال من الأحوال عن ثلاثمائة كيلوجرام في تقديري، كان ملقى على الأرض مطوبا وكأنه لوح من الكارتون.

ظهر في مكان قاعة التصادم بعض الأفراد الذين يرتدون حلل وخوذات معدنية عازلة ويدهم مجموعة من الأجهزة منتهية بعضا طويلة ذات حلقة قدرت أنها أجهزة لقياس نسب الإشعاع

كشاش الحمام

المحتمل تواجدها في المكان. بعد دقائق أشار أحدهم بعلامة تأكيد فهرع بدر يتحدث إليه عبر ميكروفون بالقاعة قائلاً:

- طارق طمني.

رد الرجل:

- تمام يا فندم، النسب طبيعية.

- الدخان يا أخي؟ الكائن؟

- مش موجود يا فندم، حجرة التصادم فاضية.

عدت لأسأل بدر مرة أخرى:

- إيه الدخان الأحمر اللي انتشر في حجرة التصادم قبل

الانفجار ده؟

رد قائلاً وهو يستدير صوب شاشة تعرض بعض القياسات

ويطالعها:

- بخار محمل بكيس من دمي، هدية وداع.

ما أن قالها حتى اتسعت عيناه في ذهول وهو يطالع الشاشة

ويتراجع خطوات إلى الوراء، نظرت إليها لأرى ما يدهشه إلى هذه

كشاش الحمام _____

الدرجة، كان يظهر عليها العبارة التالية بخط أحمر كبير في المنتصف وخلفية سوداء دون أي شيء آخر:

" مكانش اتفاقنا، بيننا حساب وهر جعلك "

في ذهول تام قد اعتراضي بدوري نقلت نظري إلى باقي شاشات العرض بالقاعة.

كانت جميعها تعرض ذات العبارة دون غيرها.

كشاش الحمام _____

"أيها القلب، لماذا أنت أسير لهذا الهيكل التراي الزائل؟ ألا
فلتنطلق خارج تلك الحظيرة، فإنك طائر من عالم الروح، إنك
رفيق خلوة الدلال، والمقيم وراء ستر الأسرار فكيف تجعل
مقامك في هذا القرار الفاني؟ أنظر إلى حالك، وأخرج منها
وارتحل من حبس عالم الصورة إلى مروج عالم المعاني. إنك
طائر العالم القدسي، نديم المجلس الأنسي، فمن الحيف أن
تظل باقيا في هذا المقام"

جلال الدين الرومي

انتهى الجزء الأول من الرواية، ويليه بإذن الله
الجزء الثاني

المصادر

- الكون الأنيق - برايان جرين
- البحث عن قطة شرودنجر - جون جريبين
- الكون والعدم - محمد باسل الطائي
- خلق الكون بين العلم والإيمان - محمد باسل الطائي
- كشف أسرار الفيزياء - ستان جيبلسكو
- من الذرة إلى الكوارك - سام تريممان
- التعالق أكبر لغز في الفيزياء - أمير أكزيل
- الجائزة الكونية الكبرى - بول ديفيز
- النظرية الكمية لا يمكن أن تؤذيك - ماركوس تشاون
- العالم كما تراه الفيزياء - جيم الخليلي
- تهافت الفلاسفة - أبو حامد الغزالي
- فرسان الهيكل القصة الأساسية - ستيفين هوارث
- مبادئ ميكانيكا الكم - بول ديرك
- صيرورة الكون ومدارج العلم - محمد باسل الطائي

فهرس المحتويات

5.....	إهداء
6.....	الحارس
13.....	دفعه كفيف
23.....	دار ابن لقمان
32.....	جثة دهشور
44.....	الحقيقة وأخواتها
56.....	متغير على
74.....	جسيم الإله
90.....	الطواشي صبيح
97.....	كمومية
114.....	الوجع ألوان
122.....	ذو السهيف
127.....	كربيتوكروم
148.....	أسطورة سيزيف
157.....	ذاكرة انتقائية
167.....	ملك الجحيم
177.....	التجربة
191.....	مادة طاقة مادة

كشاش الحمام _____

201	قارئ الأفكار
211	الظل الطويل
219	الظلام
235	ريزنيك
245	جرانيت
251	خارج الصندوق
259	خوذة كولومبو
270	خطوة لابد منها
273	كشاش الحمام
292	هدية وداع
310	المصادر
311	فهرس المحتويات